

[illegible]

Princeton University Library



32101 072571530

غياث الدين الميلا

دروب النيرفانا

بحوث استطرادية في العلم والآداب والفلسفة

ان هؤلاء الذين تمكنوا من النفاذ الى سر السعادة
المطلقة وقتمعوا بالنبذة الخالدة هم الذين تحرروا من
ربقة عبودية المادية والانانية ومارسوا الصدق والتصديق
والعلم والاحسان والصبر والمثابرة ، لأن الارتقاء في
معارج النيرفانا قوامه الايمان الصحيح والخلق الحسن .

بوذا

الكتاب الثاني

١١١
١١٢
١١٣

١١٤
١١٥
١١٦
١١٧
١١٨
١١٩
١٢٠

١٢١
١٢٢
١٢٣

al-Mullā , Ghiyāth al-Dīn

غياث الدين

دُرُوبُ النِّيرَانَا

بحوث استطرادية في العلم والأدب والفلسفة

Durūb al-Nirvānā

ان هؤلاء الذين تمكنوا من النفاذ الى سر السعادة
المطلقة وقاتعوا بالغبطة الخالدة هم الذين تحرروا من
ربقة عبودية المادية والانانية ومارسوا الصدق والتصدق
والعلم والاحسان والصبر والمثابرة ، لأن الارتقاء في
معارج النيرفانا قوامه الايمان الصحيح والخلق الحسن .

بوذا

لقد جرى طبع خمسين نسخة من هذا الكتاب على ورق
« تكست » لاستعمال المؤلف الخاص ومئتي نسخة على ورق
« كورسيكان » مرفقة من ١ الى ٢٠٠ للمسكاتب الرسمية
والباقي على ورق « رجستر » لجمهور القراء .

مراجع الكتاب

١- في اللغة العربية

- القرآن الكريم
العهد القديم والعهد الجديد
رياض الصالحين الامام يحيى بن شرف النووي
الجامع الصغير الامام الحافظ السيوطي
النشوء والارتقاء تشارلز روبرت داروين
فلسفة الطب الدكتور حسني سبوح
علم الاجتماع الدكتور عبد الكريم اليافي
الافكار والمرض السي ماك ورسيك
الانسان الدكتور الكسيس كاريل
الغرائز المرضية الدكتور احمد منيف العائدي
تكوين الجنين مارجريت جلبرت
مباحث علوم القرآن المجيد الشيخ محمد العربي العزوزي
ابو ذر الغفاري عبد الحميد جودة السحاري

(RECAP)

2272
68942
M66
331

6-27-61 O.L.L. (Sham)

٢ - في اللغات الاجنبية

LA SITUATION DANS LA SCIENCE BIOLOGIQUE EN U.R.S.S.

PRECIS DE PATHOLOGIE GENERALE DR. A. LIBERT

DU CRETIN AU GENIE DR. S. VORONOFF

L' AMOUR ET LA PENSEE DR. S. VORONOFF

DAS BLUT DR. L. HEILMEYER

MAN DOES NOT STAND ALONE DR. A. MORRISON

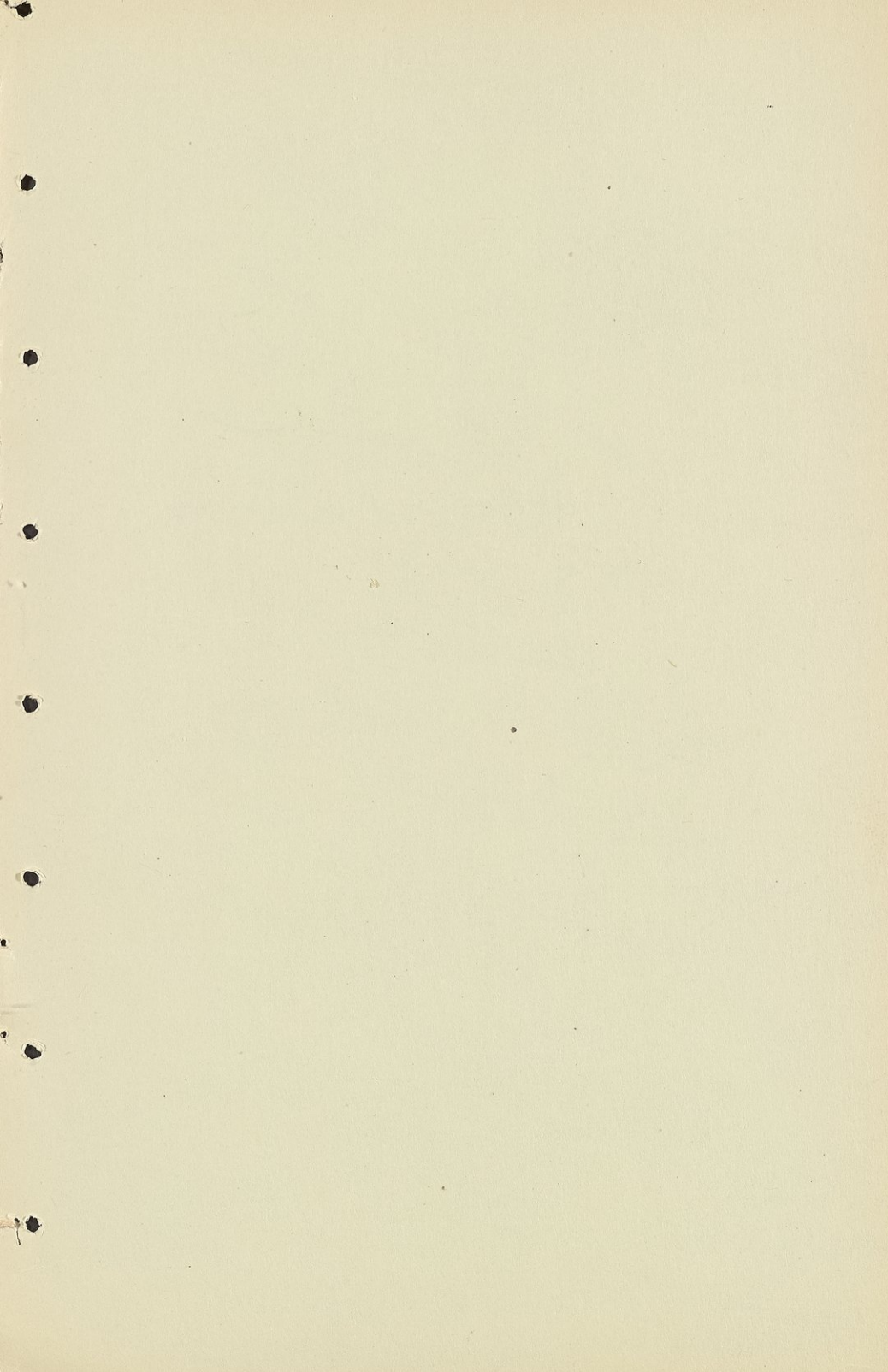
HISTOIRE UNIVERSELLE ÇESAR CANTU

PHILOSOPHES ANCIENS ET MODERNES ANDRE CRESSON

REVUE DES SAVANT AOUT 1954

الإهداء

إلى الزميلة الصديقة التي شاء لها
سوء طالعها أن تصبح زوجتي .



المقدمة

مصبح ديوجين (١)

ان دعوة العقل الى اعتلاء منصة تكمية في
احكامه العادلة على أعراف جائرة ، مهمة لاشك في
صعوبتها ؛ ومن العبث ان نتظاهر بالامبالاة
ازاء ابحاث وثيقة الصلة باعماق طبائع
الانسان الحي .

عمونيل كانت

١- فيلسوف يوناني ولد عام ٤١٣ قبل المسيح في بلدة « سينوب » كان يدعو
الى الحياة الطبيعية ونبذ المظاهر . وقد اشتهر بمصباحه الذي كان يحمله نهرا
في شوارع اثينا بحثا عن الانسان .

في صفحات لها خالدة مشرقة ، قصّيت علينا كتب
تاريخ العلوم أخباراً صحيحة عن حقائق علمية مذهلة ، خرج
بها على الناس ^(١) في مختلف العصور نفر من العلماء والحكماء
والفلاسفة الاقدمين ، وأنبأنا كيف أن هذه الحقائق
ما لبثت ان انكفأت على نفسها وقبعت في زاوية مهملة
من تاريخها لأنها عجزت في حينها عن أن تأخذ طريقها
إلى عقول أبناء عصرها ، بسبب نقص في مقوّمات سمعها ،
هو فقدان الدلالة المادية المؤكدة لصحتها .

ان طبيعة حياتنا المادية تضطر عقولنا على أن يلتزم
نشاطها الآفاق المادية والمجالات الحسيّة ، فاذا ما صادفها
مالات تحدّه مجالاتها او لا يرقى اليه افقها ، انكرته واوصدت

١ - كالبحث في كروية الارض قبل الفئ عام والبحث في الجاذبية الارضية قبل
عشرة قرون .

من دونة تزمتا ابوابها ، فالجأته على ان يرجع عنها ليهيم
عبر القرون في فضاء اللانهاية مترقباً ، كيما يعود ثانية ،
ظروفا اكثر ملائمة واطمن للاقامة الدائمة .

ولو اننا تنازلنا عن ذلك التزمت العقلي والاناية العلمية ،
ان صح التعبير ، او كنا وعينا قول ذلك الحكيم الاغريقي
الكبير الذي يزعم ان كل ما تعلمناه وعرفناه واكتشفناه لا
يعدو ان يكون قطرة من بحار ما لانزال نجهله ، لجنبنا الانسانية
خسارة اكيدة ودفعنا بالعلم والحضارة الى الامام قروناً عدة .
ان العقل والعلم والمنطق ، كلها امور نسبية ليس لها
أية صفة مطلقة . فنظرية « نيوتن » في الجاذبية مثلاً ، تفقد
كل قيمتها التطبيقية خارج نطاق اجواء الكرة الارضية ،
وما اتفقنا على تسميته بالاشعور^(١) ، هو في الواقع الشعور
الصحيح الساهر أبداً ليل نهار ، وما نحكم بانعدام المنطق

دروب النيرفانا

فيه ، تتوَلَّى نتائج مهمة اثبات الحكمة منه ^(١) .

لذا فاننا سوف نسعى معاً لاستجلاء غوامض هذا
التناقض الظاهر ، لننفذ منه الى عالم الميتافيزية ، فنستعرض
ظواهرها المتفق على صحتها ، ثم نستخلص من هذه الظواهر
فرضيات نقيم بينها وبين العقائد السائدة مقارنة صريحة ،
فلا ندري الاً ونحن في قلب المعضلة ، نمسك بأيدينا
خيوط العقدة الاصلية ^(٢) .

ان هذا الكتاب ليس بحد ذاته سفرًا علميًا كله
ليكون مرجعاً وحجة . انه مجموعة خواطر وملاحظات
وبحوث استطراذية في العقل والجسم والعقيدة ، يقر العلمُ
مبدأها إقراراً لا جدال فيه ، وضعناه ليكون قبساً
يستأنس به رواد الحقيقة الخالصة ، واداة صالحة يستعين
بها المكافحون في سبيل المثل والحرية الفكرية .

١ - قصة نوح عليه السلام ، وقصة موسى مع الخضر عليها السلام ،

وتعاليم المسيح عليه السلام في التضحية والمحبة الخ . . .

٢ - هي اسئلة كيف ؟ ومتى ؟ ولماذا ؟ في عالم الميتافيزية .

الفصل الأول

نحن وعقولنا

ولما عولت على ان اعتبر ما لا يقبله
عقلي مجرد خيال واوهام ، تنبهت الى ان
شخصي الذي يفكر بمثل ذلك لابد ان
يكون كائنًا حسيًا .

رينه ديكاوت

قدم العالم « سرج فورونوف » في كتاب له نشره في باريس عام ١٩٣٦ تحت عنوان « الحب والفكر لدى الانسان والحيوان » دراسة مستفيضة عن احساسات الحيوانات وتفكيرها واورد امثلة قال انها واقعية ، دلت بها على ان اكثر هذه الحيوانات ، ان لم تكن كلها ، تنصرف بوحى من فكرها في ظروف لاعلاقة للغريزة بها ، وان رد الفعل لدى قسم منها ، في بعض الظروف الطارئة ، لم يكن يختلف عن رد الفعل لدى الانسان في عين هذه الظروف ، وان منها من يضم بين جنباته روحا تكاد تكون خلاقة . ثم استخلص من هذه الوقائع قواعد ثابتة اصبحت في ما بعد حقائق علمية ، نتيجة دراساته الدقيقة ، ضمها كتابا آخر له ، نشره في نيويورك تحت عنوان « من

البرهنة الى العبقرية » وقال فيه بان الابحاث المجهرية اثبتت ان خلايا المخ في الحيوانات الراقية لا تختلف في مجموع تركيبها عن خلايا المخ في الانسان ، ولو انها اقل نقاءً واضعف تطوراً ، وان امخاخ قردة الشمبانزي والاورانج- اوتانج والغوريلا ، لا تختلف عن امخاخنا الا بقلة عدد تلافيفها ، وان الفارق فيها لا يمكن في النوع ولا في الشكل ، بل في درجة التطور فقط ، وان الروابط التي تصل بين مادة المخ وبين الفكر هي بالتأكيد نفسها في الانسان والحيوان معاً .

— فاي شيء هو الفكر ؟

— هل هو عنصر مادي ام عنصر معنوي ؟

— هل هو نتاج تفاعل مادة المخ او انه اشعاع الروح

عن طريق هذه المادة ؟

ثم المخ بذاته ، هل هو مصنع مستقل يعمل تلقائياً

أم أنه آلة تستعين بها الروح لاستنباط الفكر ؟ هل هو

دروب النيرفانا

المفكر ام انه واسطة التفكير ؟

فاذا سألنا بان الروح هي التي تستمعين بالمنح لاجراج الفكر، فهل يمكن أن نستلم بانها هي التي تبعث فينا الافكار السامية والماديه والمنحطة على السواء ؟ إن قبولنا بالمبدأ الاول يضطرنا الى قبول المبدأ الثاني لعدم امكان التفريق بين تأثير الروح وآلية التفكير، لان المنح، اذا كان عبارة عن آلة بيد الروح، فانه عاجز عن أن يعمل بمفرده ؛ واذا ما عمل تلقائياً، فانه لا يعود آلة، بل واسطة ايجابية باعثة للأفكار وفي جملتها المنحطة منها. ولكن هذا التسليم يتنافى تماماً مع ما هو متفق عليه من سمو الروح وتنزهها، خصوصاً اذا نحن اخذنا بمبدأ مادية التفكير، لان المنح الذي هو مادة، لا يمكن أن يستولد من ذاته عنصراً غير مادي.

— فأى شيء هو الفكر ؟

اننا نعلم بان كل فكرة طارئة او شعور عابر يصحبه تيار كهربائي يصدر عن خلايا المنح دلت على وجوده.

آلات حديثة^(١) تلخص في قطبين مثبتين على طرفي الرأس ومتصلين بمحوّل ومنه الى مسجّلة تظهر بوضوح صفة تلك الفكرة ، هادئة كانت او عنيفة ، ونوع ذلك الشعور مفرحاً كان او مؤلماً ؛ لأن رد الفعل الفيزيا - كيميائي في المخ يتبدل مع كل فكرة او شعور او اي مظهر من مظاهر نشاطه . ولكن المخ ليس في الواقع الا كتلة رمادية اللون مكونة من مادة بروتوبلازمية نعرفها تشريحياً حق المعرفة ، فما الذي تستطيعه هذه المادة ؟ انها ، من الناحية العلمية ، لا تستطيع أن تصيغ بحد ذاتها غير اشياء مادية ، لان المادة لا تصنع الا مادة ، وكل تبدل في عناصرها لا يمكن أن يكون إلا مادة .

فاذا استطعنا أن نرفع بشكل ما هذه الكتلة الرمادية

١ - ومثل هذه الآلة اصبحت من الاجهزة الاساسية في كثير من المستشفيات . ويقول العالم جاكوبسون ، الاستاذ في جامعة شيكاغو ، انه اذا اجتمع مليون شخص وفكروا معا بامر واحد ، فان التيار الناشيء عن تفكيرهم هذا بمقدوره أن يضيء مصباحاً كهربائياً طاقته الفاعلة شعة « واط » .

دروب النيرفانا

مع احتمال بقاء الحياة، فانه من البديهي أنه لن يبقى عقل !
اما إذا ضمرت، أو أصيب جزء منها، او انقطع عنها واحد
من افرازات الغدد الصم، فان الاذى يصيب المملكات
التي تتمركز في المنطقة المصابة دون غيرها، لأن مجمل
المخ يتألف من مناطق معينة لكل واحدة منها مجال محدود
من النشاط، وتختلف قيمها في ما بينها باختلاف مكان وجودها
فيه. فالذكاء العام مثلاً يتمركز في المنطقة الجبهية، لذا
فاننا نرى أن خلايا الناحية البارزة من هذه المنطقة شديدة
النمو لدى كبار الفنانين^(١). وكذلك منطقة العلوم، فانها
تقع في اجزائه الجانبية والخلفية، ويكون نموها شديداً لدى
العلماء الى درجة يزيد معها حجم المخ زيادة محسوسة^(٢).
وتقع منطقة « بروبا »^(٣) في الجزء الأيسر من المخ،

-
- ١ - ثابت تشريحياً خصوصاً من تشريح مغ الموسيقارين « باخ » و « بيتهوفن » .
 - ٢ - تبين من تشريح المخ لثمانية عشر عالم غمو غير عادي في الخلايا الواقعة في
الاجزاء الجانبية والخلفية، وزيادة غير طبيعية في التلافيف والنزوات الدماغية .
 - ٣ - نسبة الى الطبيب الذي اكتشفها، وهي مركز التعبير والفصاحة والخطابة .

وتكون مساحتها لدى مشاهير الخطباء أوسع مما هي عليه لدى الباقيين بما في ذلك العلماء منهم ، حتى أنها وصلت إلى الضعف في مخ الخطيب الشهير « غامبيتا »^(١) وهي لدى الأفريقيين محدودة جداً ومعدومة تقريباً لدى سكان القطب .

ان وجود هذه الاجزاء المعينة والمحددة تشريحياً في المخ ، وتأثرها تأثيراً مختلفاً عن بعضها رغم الوحدة التامة في نوعية المؤثرات ، تدعونا لأن ننسب للمخ القدرة المستقلة على التفكير ، ولو انها قدرة خاضعة لطبيعة تكوينه وانتظام تغذيته ودوام تربيته . فاذا قصرت مثلاً إحدى الغدد الصم بوظيفتها ، او توقفت عن تربيته المخ بافرازاتها ، تأثرت المنطقة التي تقع تحت نفوذها تأثيراً مباشراً سيئاً تظهر علاؤه فوراً مع دوام سلامة بقية المناطق . وكذلك

١- محام ونائب فرنسي ولد عام ١٨٣٨ وتوفي عام ١٨٨٢ . وقد امتاز بالخطابة والفصاحة .

دروب النيرفانا

يكون الامر اذا ما استهدف المخ لرجة شديدة في احد جوانبه أو أصيبت الجمجمة بكسر ادّى الى تمزق موضعي في قشرته

وازاء هذه المشاهدات والتجارب والاثباتات ، يتخذ سؤالنا شكلا آخر فيستوضح عن هذا الذي يدفع الغدة الى الافراز والدم الى الجريان وخلايا الدماغ الى التفاعل لصياغة الافكار والمشاعر ، والذي به تنبعث المادة الجامدة الميتة حية لتنطق ساعية في مجالات رقيها وتطورها .

ان عنصر الحياة هو العنصر الخفي العظيم الذي استودع في الخلية الأولى منذ ملايين السنين ، ثم توارثته الانواع جيلاً بعد جيل على مر الدهور . انه السر البديع المتربع في صدر كل خلية من خلايا الانسان والحيوان والنبات والذي بفضلله نتحرك ونعمل وتوالد ، والذي بواسطته تنبت الاشجار وتورق وتزهو وتثمر ، والذي بسر وجوده

ينفلق الحب ^(١) وتحيا الارض بعد موتها .

فالخلية بلا حياة ليست الاّ جزءاً من مادة ساكنة جامدة
لا يمكن أن تصبح كأنها فعلاً إلاّ بوصول شعلة الحياة
اليها . ولما كان الفكر هو من تتاج الخلية الحية بتأثير
الافرازات العضوية والفيزيا - كيميائية التي تنتجها الغدد ،
والتي يمكن تحليلها تحليلاً مخبرياً كاملاً ، فانه يحق لنا التساؤل
عن الطريقة التي تتبعها مادة المخ في الافصاح المعنوي
المحسوس عن تفاعلها الكيميائي .

من العلوم التي اصبحت معروفة ان كل مادة ترسل
اشعاعاً خاصاً بها هو في الواقع بث متصل لذرات متناهية
في الصغر من ذات عنصرها ، لا ترى لدقتها ولا ندرك
وجودها للضعفها ، رغم شعورنا بتأثيرها وثبوت وجودها
علمياً ، كأشعة رونتجن ، واشعاع الراديوم ، ونور

١ - عندما زرعت السلطة: حبوب الحنطة التي عثر عليها في احد قبور الفراعنة
في مصر ، نبتت هذه الحبوب واثمرت وكأنها بنت عامها .

الكواكب والتيار الكهربائي . فمادة المخ في تفاعلاتها الداخلية الحافظة ، تبث أيضاً اشعاعاً من ذرات غير مرئية هي عنصر الفكر . وإذا كان مصدر هذه الذرات لا يتأثر ولا يتناقص على مر الأيام بالرغم من اشعاعه الدائم ، فذلك لأن جزيئاته من الصغر بحيث يمكن اعتبارها بحكم جزيئات معدن الراديوم الذي يظل ميلليمتراً مكعب منه يشع الف سنة دون أن يتأثر وزنه تأثيراً يذكر وهذه الاشعاعات الذاتية الصادرة عن كل مخ حي ، سريعة الانتقال سرعة التيار الكهربائي الذي ينقلها ^(١) ، وتؤثر ، بصفتها المادية النسبية ، في بقية الانساخت الحية المماثلة بالتوجيه المباشر او عن طريق اجتذابها من الفضاء الواسع الذي تكون سابحة فيه ، من قبل الحجيرات الجاهدة في عين المعنى وبالتالي البائنة لتيارات مشابهة لها في التواتر والاتجاه ، فيتلقفها مكن الاشعور فيه ، فيعيد

١ - وهي ٥٣٠ الف كيلومتر في الثانية الواحدة .

تنسيقها ثم يعيدها الى العقل الواعي الذي يطلق عليها اسم
الالهام . مثال ذلك ان العالم « اريستارك الساموسي »^(١)
الذي عاش في المئة الثالثة قبل الميلاد قد أكد أن الأرض
كروية الشكل وانها تدور بانتظام في فلك كوكب
الشمس ، فسخر منه معاصروه ، وظل الرأي القائل بان
الشمس هي التي تدور حول الأرض هو السائد الى ان
جاء « كوبرنيك »^(٢) فأيد علمياً اقوال « اريستارك » بعد
الف وثمانمائة سنة من وفاته . فهل توصل « كوبرنيك »
بفضل جهده وحده الى ما توصل اليه ام ان عقله العامل
في عين مجال سلفه البعيد قد تأثر بأفكار هذا السلف
المعلقة في فضاء اللانهاية منذ ذلك الحين ؟ بل هل كان

١ - اريستارك : عالم وفلكي يوناني اتهم بجرم الاخلال بنظام راحة الآلهة لقوله
بنظرية دوران الارض حول محورها وحول الشمس وذلك في القرن الثالث قبل المسيح

٢ - نقولا كوبرنيك : عالم وفلكي بولوني ولد في بلدة « ثورن » عام ١٤٧٣ . اكد نظرية
اريستارك وعممها على بقية الكواكب فاتهم من اجل ذلك من قبل البابا بالانتماءات على
تعاليم الكتب المقدسة .

« اريستارك » هو صاحب الفكرة الاول ام أنه أخذها بدوره عن غيره من السابقين ؟ وأية قيمة بقيت للزمن في كل هذا ؟

وما يقال في « اريستارك » يقال أيضاً في « تشارلز داروين »^(١) واضع نظرية « اصل الانواع ». فقد جاء في كتب العلم والتاريخ ان العالم « انا كسيماندر »^(٢) قال بنفس النظرية عام اربعمائة وخمسين قبل المسيح ، اي انه سبق زميله الحديث بألفين وأربعمائة سنة . وحوالي ذلك التاريخ ايضاً خرج الفيلسوف « لوسيب »^(٣) الى العالم بنظرية علمية قال فيها أن الكائنات الحية بمجموعها مركبة من ذرات دقيقة دائمة الحركة قابلة للتوالد كما هي قابلة للهلاك ، الشيء الذي لم يصل اليه علماءنا الا بعد دراسات طويلة

١ - تشارلز روبرت داروين : عالم بريطاني ولد في بلدة « شروسبوري » عام

١٨٠٩ ، صاحب النظرية العلمية المعروفة باسم الداروينية .

٢ - انا كسيماندر : عالم يوناني ولد عام ٤٧٠ ق.م وصاحب إحدى نظريات الانهائية .

٣ - لوسيب : فيلسوف يوناني صاحب نظرية في جزئية الوعي والذرة .

تساندها آلات حديثة معقدة .

فلأي واحد من هؤلاء يعود شرف الاكتشاف الصحيح ؟ اللحيثين ام للرواد الاوائل ؟ حتى هؤلاء الاوائل ، ام الاوائل فعلاً ؟

ان انتقال الافكار وقراءتها ، امران أصبحا ثابتين ومسلم بوجودهما كما لا بد أن يكون الكثير قد شعر بهما ان لم يكن قد مارسهما بالذات . فلم لا تكون الافكار المنبعثة عن العقل ، طالما أنها غير موجهة توجيهاً معيناً ، بعكس ما هو عليه الحال في التنويم المغناطيسي ، دأمة الوجود في الفضاء ، كالأحرف المعلقة ، يحل رموزها ويقرؤها من جعله ظرفه في وضع يسهل عليه هذه المهمة اللاشعورية ؟ ان المخ والفكر عنصران لمادة واحدة هي مادة المخ ؛ اما الحياة فهي النفخة التي جمعت بينهما وألزمت الواحد بالآخر ، ودفعت بكل خلية من خلايا الجسد لتقوم بوظيفتها الآلية والكيميائية والنفسية ، لافرق في ذلك

دروب النيرفانا

بين العالم والجاهل ، ولا بين الابله والعاقل ، ولا بين المحسن والمجرم ، لأن الاختلاف لا ينحصر في وظيفة الخلية بل في نوع تركيبها الكيميائي .

ومن أشد الامثلة قوة للدلالة على ان الامر هو بالشكل الذي أوردناه ، مثال العبقرية التي هي في تعريف علم النفس قوة خلاقة والتي هي في الواقع موهبة طبيعية ذاتية ، مستقلة عن المقاييس العامة ، تأتي بشكل إلهامات عفوية ، ولا علاقة لها بالنضوج الفكري ولا بالتكامل الجسدي ، ولكنها ، برأينا ، مرتبطة تمام الارتباط بالبيئة والوراثة^(١) . فقد جاء في بحث للدكتور « داكوت » عن الامراض العقلية ان عدداً من الذين كان يشرف على مداويهم ، ذكوراً وإناثاً ، كانوا يمتازون بموهبة موسيقية نادرة ، وانه علم فيما بعد أنهم أبناء لأسر موسيقية .

١ - لما كان سياق البحث يستلزم فهم نظرية الوراثة ، فقد افردنا لها باباً منفصلاً .

فالفارق بين هؤلاء الموسيقيين المتخلفين عقلياً وبين كبار عباقرة الموسيقى كائن في حدة الذكاء لا في نوع الموهبة ، لان تنمية هذه الميزة يعوزها تركيز التفكير واستخدام الذكاء والمثابرة على العمل الطويل الشاق ، والتي بدونها جميعاً لا يمكن للموهوب أن يتعدى كونه آلة حسنة التصميم . فالطفل « جوزيف فارب » الذي ظهرت عبقرية الموسيقيه في السادسة من عمره ، كان يعزف في سن الثلاثين بعين الروعة والاتقان الذين كان يعزف بهما في السادسة ، بلا زيادة ولا نقصان . فقد كان في تلك السن المبكرة يصاحب امه على البيانو في اعقد المقطوعات الموسيقية واصمها اداءً ، ويتلاعب بالانغام بلا جهد ولا تكلف ، ويضبط النغم على صوت المغني وطبقة بقية الآلات بلا عناء ، ويحفظ من المعزوفات عدداً هائلاً ، ويضرب على آتته بسهولة عجيبة ، غير آبه لموسيقاه ولا مكثرت لمواقع أصابعه ، وكل ذلك دون أن يخضع أبداً وحده من سقم المعزوفة .

دروب النيرفانا

ولكن على الرغم من كل هذه المقدرة ، كان الصبي متخلفاً عقلياً ، لا يدرك القول ولا يحسن اللفظ ، شأنه في ذلك شأن الرياضي الكبير « لويى مونرو » الذي ولد عام ١٨٢٦ في قرية من ضواحي مدينة « تور » في فرنسا والذي كان يعمل في صغره راعياً لقطيع القرية وبقضي وقته في الحسابات الذهنية السريعة . ولما اكتشف موهبته احد مدرسي المدينة ، اخذه اليه ، وكان اذ ذاك في الثامنة من عمره ، وعكف على تعليمه ظناً منه أنه عثر على عبقرية نادرة . ولكن اربع سنوات من الجهد المستمر لم تعط أية نتيجة ايجابية ، وظل الطفل على قدرته الخارقة في حل المسائل الذهنية مهما كانت معقدة دون أن يتعلم حرفاً واحداً ؛ ولما قدم الى اكااديمية العلوم في باريس في الرابعة عشرة من عمره ، جاء تقرير لجنة الامتحان مؤيداً موهبة هذا الرياضي الجاهل الفذة . اما اذا اقترنت العبقرية بالذكاء ، وهو حال العلماء

امثال « فريديريك غوس » و « واطلي » و « امبير » الذين
 ظهرت عبقريتهم بين الثالثة والرابعة من عمرهم ، فإن هذه
 العبقرية تأخذ بالتدرج في مراقبي التطور والتقدم المضطرد
 ويدخل أصحابها في عداد أعلام تاريخ العلوم والفنون .
 واذا لم تقترن به ، دون ان يكون هناك تخلف عقلي ،
 ظهر الفارق جلياً بين تصرفات هذا العبقرى اليومية وبين
 إنتاجه الرائع ، حتى ليكاد يشق على المرء أن يصدق بان
 صاحبه هو عين الشخص الذي يتصرف بشكل لا يبعد
 كثيراً عن الغباوة . وقد دلت المشاهدات على ان الاستعداد
 الغريب الذي يقارب العبقرية ، كثيراً ما يكون ملازماً
 ضعفاً في بعض الملمات الأخرى قد يصل الى حد البلاهة خصوصاً
 لدى الموسيقيين والرياضيين . ففولر سميت مثلاً ، مؤلف
 الكتاب المشهور : « فيكر او ف ووك فيلد » كان يقول
 عنه الناقد الكبير « هوراسي وول بول » أنه أبله ملهم .

وكان يقول عنه أحد كبار الكتاب من معاصريه : « إنني لا أخل مؤلف هذا الكتاب إلا صاحبه ، ولكن ثقوا أن تصديق ذلك ليس بالأمر السهل ! » ومثل هذا كان يقال في الشاعر « باربيز » الذي وصفه الناقد « دي هيربيريا » أنه شاعر ممتاز ولكن أكثر من عرفهم بلاهة .

• اما اذا كان النبوغ يرتكز على أساس ولو يسير من العلم ، فان صاحبه ، بعد ان يكون قد قضى وقتاً ليس بالقصير في الجدل لحل مسألة أو مشكلة ، او في البحث عن شكل يعطيه لفكرة علمية أو فنية ، يشعر بنتائج كشيء خارق يأتيه من عالم خارجي لا علاقة له به ، يتلقفه عقله الواعي منه ويكيّفه حسب مقتضيات ظروفه ثم يخرج له جاهزاً للتطبيق العملي . اما المنطقة التي تقوم بهذا الدور الباهر العجيب فهي منطقة العقل الباطن في المخ او « اللاشعور » كما ندعوه .

نحن وعقولنا

ولن يضيرنا قبل الاسترسال في دراسة تأثير الوراثة
والغدد الصم ووظائف العقل الباطن ان نبحت في مجمل
شخصية هذا المخلوق الذي ندعوه الانسان والذي ثبت
انه لا يملك من أمور نفسه شيئاً أبداً .

الفصل الثاني

تاريخ الظلام

ولو قصد «هوميروس» لأدرك أن خيل
بطله وكلاب صيده أحق منه بالمديح والاطراء
اذ لولا سرعة جري جياده وقدره كلابه لما
كان الفارس المجلي ولا الصياد الماهر .

مالبراناش

قد يتوهم الكثير بان الصرخة الاولى للطفل عند ولادته هي ايدان بدء حياته ، ولكن الحقيقة هي أن تقرير وجود الكائن البشري يتم تماماً في اللحظة التي يصطدم فيها الحيويون المنوي بالبويضة المتكاملة لدى الانثى عبر المجاري التناسلية ، فتنشأ عن هذا الالتقاء والامتزاج خلية حيية هي الخلية الاولى في المخلوق الجديد والتي تحتوي على عدد ليس بالقليل من صفات الابوين المادية والمعنوية . ولكن هذه السمات البدنية والصفات الخلقية لا تكون دائماً تامة المطابقة لما كان عليه الابوان ، لأن بعضاً من الصفات الوراثية لا يظهر إلا في خلف الخلف او ابعد منه ^(١) كما اثبت ذلك القس « مانريل » ^(٢) في تجاربه العديدة

١ - وهو معروف في قوانين الوراثة باسم « أنافيسم » او العودة للاصل .
 ٢ - راهب وعالم نباتي نمساوي ولد سنة ١٨٢٢ وتوفي سنة ١٨٤٤ ، شهر ابحاثه القيمة العالم الهولندي « فريس » عام ١٩٠٠ ، بعد ان ظلت مجهولة طوال خمسين عاماً .

تاريخ الظلام

على الدجاج ، عندما استولد فراخاً نقيّة البياض او السواد من دجاجات رمادية كان ابوها اسود وامها بيضاء .
ففي تمام عملية الاخصاب ، وهي لحظة اندماج الحيويين المنوي بالبويضة ، لا يكون قد تقرر وجود الكائن البشري فحسب ، بل يكون كذلك قد تقرر نوعه ، ذكراً كان او انثى ، وتقررت شخصيته وخطوط حياته . اما جهازه العصبي ، وهو الاداة الاولى لاثبات وجوده ، فلا ينشأ الا في اسبوعه الثالث ، ويكتمل نموه في النهر السابع ويتألف من شبكة معقدة من الاعصاب الدقيقة تصل بين كافة أعضاء الجسم وبين المخ . والمخ لدى الانسان هو مادة بروتوبلازمية كامدة ، تملأ تجاويف الفصين العظيمين الناتئين في الرأس ، معقدة التركيب ، شاقة النمو ، هي أشد انسجة الجهاز العصبي حساسية ، واكثرها تطوراً ، واعظمها اختلافاً ، وابلغها تأثيراً بافرات المصانع الصغيرة المنتشرة في الجسد كله والتي ندعوها بالغدد الصم .

دروب النيرفانا

وللغدد على انواعها ، صمّ كانت او غير صم ، وجوه مختلفة من النشاط تؤثر تأثيراً فعالاً على مجمل قوى الانسان البدنية والعقلية والروحية . فهي مصانع كيميائية حقيقية تبسط سلطانها على الجسد كله بما تصنع من مواد جوهرية لا غنى للخلايا والاعضاء عنها في تغذيتها ونشاطها . فالرجل الخصي مثلاً ، لا يمكن أن يكون عالماً كبيراً ولا فناناً شهيراً ولا فيلسوفاً عظيماً أبداً ، اما اذا وقع النقيض وكان افراز الخصيتين زائداً عن الحد المعتاد ، فلا يصبح صاحبها ، كما قد يتوقع ، عالماً أو فناناً أو فيلسوفاً ، بل رجلاً عادياً يمتاز بالجرأة والقسوة والضراوة .

فالعقل ، وهو الكيان المعنوي لنتيجة تفاعلات المنخ الفيزيا- كيميائية ، هو الذي يعكس على الجسد صورة واقع حاله ، وهو الذي يسم ، تبعاً لحالته ، كل تصرفاتنا وأفعالنا وأقوالنا بميسمه الخاص ، حتى أساير وجوهنا وأفواهنا ، انما تحددها احوال تألفها العضلات ، ولكنها

تاريخ الظلام

مستمدة من حالة العقول . وقسمات الوجه لدى الفرد .
تصبح ، عن غير وعي منه ، عامرة بشعور كيانه وشهواته
وامانيه حتى ليكاد يقرأ فيه محدثه مقدار ذكائه وغبائه ،
ورذائله وفضائله ، ومبالغ الصحة أو المرض في عقله ،
وما يحتمل في اخفائه من قبيح عاداته . ولقد كان الاطباء
في تشخيصهم للأمراض ، يعلقون أهمية كبرى على المزاج
والطباع ، وكانوا في ذلك على حق ، لأن في وجه كل
امرئ صورة عن جسمه وروحه . وعندما اخذت جماعة
من الاطباء الاميركيين البارزين ، منذ أكثر من خمسة
وعشرين سنة ، في بحث التأثير الذي يحدثه العقل في
الجسم ، فاق عدد الشواهد المؤيدة لهذا التأثير كل ما كانوا
يتوقعونه ويرتجونه . وكان من جملة أمثلتهم القاطعة ،
مرض القرحة المعدية . اذ اثبت الدكتور « هارولد ولف »
الذي أشرف على معالجة ٢٠٠ حالة من هذا المرض ، ان
مجرد محادثته مع المصابين به بما يشير خواطرهم من ذكرى

دروب النيرفانا

زوجة مشاكسة أو تجارة خاسرة أو خيبة عاطفية أو مالية ، فإن حالة القرحة كانت تبدأ بالتفاقم تحت تأثير حامض الهيدروكلوريك الذي كان سيئه يزداد زيادة عظيمة أثناء الحديث .

وما هو ثابت في هذا الاتجاه ثابت أيضاً في عكسه . فالعقل والنفس يتأثران كل التثرء بشو غددنا وانسجتنا وأغشيتنا من نقص أو زيادة في الافراز . فتأثر شخصيتنا بامراض الكبد والمعدة والامعاء أمر معروف ، والفقر الذي يعتور نفوسنا في أوجاع السكايتين معروف أيضاً ، واعتلال صحتنا بتأثير توعك أمراضنا معروف كذلك . ولكن ما لا يعرفه الا القليل هو تأثير الغدد الصم العميق على كافة وظائف العقل والنفس أثناء الحياة^(١) .

١ - يقول العالم « ا . موريسون » في كتابه : « الانسان لا يقوم وحده » في فصل « الضوابط والموازن » : ان تلك المواد (ويقصد مفرزات الغدد الصم) تبلغ من القوة الفعالة بحيث ان جزءاً من بليون منها تحدث في الانسان آثاراً بعيدة المدى .

تاريخ الظلم

فالغدد الصم نسج بشرية تبدو على هيئة كتل وأنابيب موزعة على كافة أجزاء الجسم باستثناء الأطراف، وتمتاز عن سواها بإفرازاتها الذاتية الكاملة ^(١) وانصبابها رأساً في الدم أو اللنف بدون وساطة اقنية أو اوعية معينة، وتعزي إليها كافة مظاهر نشاط الملدكات والصفات الحكيمة والنفسية. فالغدة النخامية ^(٢)، تبعاً لحالتها، هي صاحبة الأثر الأوّل في أحداث الحندلة ^(٣) والمعلقة ^(٤) والابقاء على الطفالة ^(٥)، كما أنها بتأثيرها على قشرة الكظر ^(٦) تحدث البلوغ المبكر وظهور الطمث وفرط البدانة المصحوب بتغاير الجنس في بعض الأحيان. اما انتظام تعاونها مع

١ - بمعنى أنها ليست نتيجة تفاعل، وان لا مراحل لتكوينها كالبلولة وحض الكربون.

٢ - هي غدة بحجم حبة الفول تزن ثمانية غرامات تقريباً وتقع على السرج التركي في الجمجمة.

٣ - القصر المفرط.

٤ - الطول المفرط.

٥ - مظاهر الطفولة حتى بعد البلوغ.

٦ - الكظران غدتان تقعان فوق الكليتين.

دروب النيرفانا

الغدة الدرقية ^(١) فانه يكسب صفات الثبات والرزانة والتعقل . والغدة الدرقية بدورها ذات اثر فعال في كثير من صفانا النفسية ، فهي ان تضخمت او زاد مفرزها ، أورثت نقص النوم والاضطراب النفساني والنظرة الهائجة المتحولة وفرط التنبه في الجملة العصبية ^(٢) ، اما ان فقدت ، خصوصاً في الطفولة المبكرة ، فان ذلك يورث البله والقصر وتأخر الكلام والصمم .

وتعمل الغدة الصنوبرية ^(٣) بالاشتراك مع الغدة الصعترية ^(٤) في تعديل النمو المسرع للغدد التي تهيم افرازاتها الخصائص المميزة للجنس بدينياً ونفسياً .

اما جزيرات البانكرياس ، وهي التي تقوم بافراز مادة

١ - غدة واقعة في مقدمة منبت العنق .

٢ - اثبت تشريحياً ان غدة كبار المجرمين الدرقية يزيد حجمها عن الحد المعتاد .

٣ - تقع تحت المنخ وهي بمجم الصنوبرية

٤ - غدة ذات شكل غير منتظم تقع في الجهة الامامية من الصدر وتزن بين اربع وخمس غرامات . وهي تتكون في الشهر الثالث وتتسكامل في الشهر التاسع وتضمحل في سن البلوغ .

تاريخ الظاهر

الانسولين المحتوية على الكبريت والمولجة بحرق المواد السكرية ، فان صلتها ببقية الغدد صلة بدنية اكثر منها نفسية وتظهر عوارضها اول ما تظهر بالجسد باشكال مرضية. فالتاريخ الشخصي المشترك لكل أنواع الكائنات الحية لا يتعدى فترة تطورها في اوساطها او في بيوضها او في بطون امهاتها ؛ ولكنها عندما تبغ مرحلة التكوين الكامل ، وهي في الانسان لحظة اطلاقه صرخته الثاغية الاولى ، يفرد كل كائن بحياته يعيشها كما كتبت له .

ان الجسم البشري يتركب من مجموعة من العظام والمضلات والجلد والشعر يتوقف مظهرها كلها على تغذية الانسجة التي ينظمها تركيب مصل الدم ؛ والمصل هو السائل الذي يحمل كريات الدم الحمراء وعددها من ٢٥ الف بليون الى ٣٠ الف بليون كرية ، وكريات البيض البالغة ٥٠ بليون كرية تقريبا ، والذي يزخر بمواد زلاية واحماض وسكريات ومواد دهنية ومفرزات من كل الغدد

دروب النبرفانا

والانسجة ، والذي يحتوى فوق ذلك أجساماً مضادة للجراثيم الضارة بالإضافة إلى المواد الكيميائية والخلايا القادرة على ترميم الأعضاء كلما مسّت الحاجة .

ويسري هذا السائل في الجسم بأسره حاملاً في عبابه الغذاء المناسب لكل نسيج من أنسجته بالقدر اللازم والضغط المطلوب ، وبالسّعة الكافية لمنع تأثره بما يلقى فيه من الفضلات المتخلفة عن الانسجة الحية .

فالإنسان كيان قائم أولاً وآخراً على التغذية ومركّب من حركة دائبة بين مواد كيميائية تجري جريانا دائماً بين خلايا الجسم كلها حاملة لها ما يلزمها من طاقة وغذاء لتبني لأعضائها ومزاجنا كيانها الموقت الرقيق ، لذا كان توقف أمر جهودنا وسلوكنا ونوع أفكارنا على حالة دورتنا الدموية حالة طبيعية جداً في أكثر الحالات .

والجسم بطبيعته وحدة متماسكة غاية في القوة والكمال ، محارب ومدافع من الطراز الأول ، ضنين بانسجام وظائفه ،

تاريخ الظالم

غيور على بعضه ، قادر على رأب صدعه ، نفذ الى سره
اوّل ما نفذ اعرابي أمّي من الجزيرة العربية قال في حديثه
الشريف : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم
مثل الجسم ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحمل » ^(١) .

وقد أخفق الكثير في تفسير هذا الحديث العجيب
وذهبوا في تعليقه مذاهب شتى لا تمت الى الحقيقة الا بالقدر
الذي يضيفه عاينها إيمانهم المتين ، أما التفسير الصحيح ،
فهو ما ذكره العلم الحديث بلسان الجراح الكبير
« الكيسى طريل » :

« ان للجسم وحدته في المرض كما له وحدته في الصحة ،
فهو يمرض جميعاً اذا مرض ويصح جميعاً اذا صح ، ولا
يمكن ان يقتصر الانحراف على العضو المصاب بمفرده

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه احمد ومسلم .

دروب النيرفانا

أبداً ، فاذا أصاب الجلد او العضلات او اوعية الدم او العظام أذى ، هياً الجسم نفسه في الحال لمواجهة الحالة الجديدة ؛ فحالة نزف في موضع ما من الجسم مثلاً تستدعي انقباض جميع اوعية الدم فيه لتحفظ الشرايين بالضغط الكافي لاستمرار الدورة الدموية ، واذا ما انكسرت جارحة من جوارحه وتمزقت العضلات واوعية الدم بفعل الاطراف الممنونة من العظام المصدوعة ، فسرعان ما يحيطها الدم بغشاء من الفيبرين^(١) ، وتنشط دورته وتتورم الجارحة المصابة وتفيض على العضو الجريح المواد الغذائية اللازمة لتجديد الانسجة ، ويتحول جزء العضل القريب من موطن الكسر الى غضروف يستحيل في ما بعد الى نسيج عظمي جابر .

اما الحمى ، فهي ارتفاع موقت في حرارة الجسم الطبيعية

١- مادة زلالية موجودة في مصل الدم مهمتها الالتصاق بالجروح لاييقاف النزف .

تاريخ الظلم

البالغة وسطياً ٣٧ درجة سانتيجراد ، فقد ظل الناس سنوات طويلة يتوهمون انها نتيجة للصراع القائم بين الميكروبات المرضية الدخيلة وبين كريات مصل الدم البيضاء ، ولكن الطب الحديث اثبت خطأ هذا الزعم ولو أنه لم يعط تعليلاً مرضياً عنه ، فالحرارة ترتفع بصورة آلية في أكثر الحوادث الطارئة نتيجة بليلة تقع في عصبي التوازن الحروري الكائنين في اسفل قاعدة المخ ، وقد اثبتت التجارب قدرتها على قتل عدد من الفيروسات والجراثيم حتى أن الأطباء يعتمدون احياناً ، في عهد البنسلين والستريبتوميسين ، الى رفع حرارة الجسم اصطناعياً بغية القضاء على الطفيليات المرضية المجهرية .

والمبدأ بمحد ذاته معروف منذ القديم ، حتى ان الملك الفرنسي لويس الحادي عشر كان يتنى أن يصاب بالبرداء لعل حرارتها تشفيه من طفح جلدي مزمن كان يشكو

دروب النيرفانا

منه ، اما الجديد الذي يجب أن يعرف ، هو ان الحرارة ليست بصورة حتمية ظاهرة مرضية ، بل عنصر ملازم لكافة أعمال الاصلاح الذاتي في الجسم البشري ، وهو ما قصده النبي العظيم من أن سائر الاعضاء تتداعى للمعضو المصاب بالسهر والحمى .

وهذا الاسلوب المادي في الترميم والبناء ، وهو اسلوب تجديد الشيء نفسه بنفسه ، يشبه الى حد بعيد طريقة تربية المسكات العقلية والمزايا النفسية التي تُبنى بجهد ذاتها . فالارادة مثلاً لا تقوى الا برياضة نفسها ، والذاكرة لا تنمو الا بكثرة استعمالها ، والدكاء لا يصاغ الا بالتعود على التفكير المنطقي .

ومظاهر الجلد ، عادة ، مرآة تنعكس عليها حالة الاجهزة والاعشية والغدد كما تنعكس عليها حالة العقل والنفس والقلب ، واذا كان انتظام التغذية الدموية

تاريخ الظلام

وانسجام الحركة الكيميائية واتساق نشاط الانسجة والغدد من عوامل دوام العافية ، فان آتزان العواطف وراحة الضمير وصلاح البال عوامل هي لا تقل عنها أهمية في عدم اعتلال هذه العافية .

فاذا الف المرء مثلاً عواطف الحسد والبغض زمناً ، أصبح في قدرة هذه العواطف أن تحدث تغيرات عضوية وعلاًلاً مزمنة حقيقية في جسده . فالموت المبكر أمر شائع لدى رجال الأعمال الذين يجهلون كيف يكافحون همومهم ، والتهابات الكلى والمثانة لدى كثير من الرجال والنساء مرجعها اضطرابات في النفس قديمة ، واقتحام جراثيم المعدة والأمعاء الدورة الدموية نتيجة اضطرابات عصبية وعضوية مردّها ذبذبات الحياة الحديثة ، حال يعرفها الاطباء تماماً .

وقد أدركت أكثر الديانات المعروفة هذه الحقائق

دروب النيرفانا

الراهنّة ، فجعلت من بعض تعاليمها العقيدية رياضة فكرية
وجسدية . حتى أن الدين الاسلامي ، بقرآنه وحديثه وسننه
 واجماعه ، لم يهدف إلاّ لعزة الفرد وسلامته في عقله
وبدنه وآله ومجتمعه ^(١) .

١ - في الفصول المقبلة شرح واف لهذه الفكرة .

الفصل الثالث

القصة العجيبـة

من الغباء ان نسائل الشجرة لماذا تورق
ولماذا تعيد واين تذهب أوراقها الذابلة كل
عام ! ان الفرد مظهر زمني للنوع الخالد ،
تماماً كالورقة ، تولد وتموت ، ويبقى الجذع
من بعدها حياً ليهب الحياة .

شوبنهاور

تحدثنا في الفصل السابق عن كيفية انتقال الحياة من
السلف الى الخلف وتجاوزنا متعمدين كنه هذه الشعلة
الازلية العجيبة التي استمر اشعاعها على مر الدهور بالرغم
من عاديّات الزمن وكوارث العصور خلال ملايين من
السنين لنفرد لها ولنشأتها فصلاً خاصاً نسعى به
لامتشاف بعض ما نستطيع من خفاياها .

لقد شقت الحياة طريقها في هذا الكون تارة باللين
وتارة بالعنف بين شتى أنواع الصعاب والعقبات ، ومضت
قدماً قوية مظفّرة حيث توقف او تراجع او اندثر كل
عصر من عصور التاريخ الجيولوجي . انها تمكنت ، بمختلف
انواعها وأشكالها ، من الجرثوم المجهرى الدقيق الى اضخم
الحيوانات والنباتات ، من أن تغلب على كل الظروف
المتغيرة ، للماء والأرض والهواء ، على ما هي عليه من

القصة العجيبة

الضعف وتفاهة الجرم بالنسبة للطبيعة وثوراتها .
انها النفحة القوية الخفية المهيمنة على العناصر الجامدة
ترغمها في ظروف معينة وحدود ضيقة ^(١) على حل تركيباتها
والاتحاد مجدداً على أساس صلات غيرها ، وتمنحها القدرة
على تكرار نفسها أجيالاً لا عد لها ولا حد ، وانها باقية
بقاء مشيئة الخالق الذي جعلها أداة لتنفيذ ارادته وخدمة
قصده .

اما بدايتها ، فانها لغز يقف العلماء حيارى امام حلقة
حله الأخيرة ، لانهم ، بوصفهم علماء ، لا يستطيعون
الافرار بالمعجزات ، وانهم بوصفهم مفكرين ، لا يستطيعون
القطع برأي نهائي لعجيب هذه البداية البعيدة .

انهم بنتيجة بحوثهم يقولون بتطور معظم الكائنات
الحية من أصل خلية مكرو سكوبية فريدة لها القدرة على

١ - وهي شدة البرودة والحرارة لانها تقضيان على ظروف المادة التي
تنوقف عليها الحياة .

دروب النبرفانا

التكاثر والموامة على شتى اشكال مظاهر الحياة، ولكن البعض منهم يعتقد بان الفضل في وجود هذه الخلية يعود الى مصادفة متوافقة في الظرف والمادة ^(١) ، بينما يرى البعض الآخر بان النظام المائل في كل جوانب الحياة الفسيحة ، من البداية الى النهاية ، يوجه التفكير نحو الاعتقاد بتعدد انواع هذه الخلايا التي سوف تصبح نباتا أو سمكة أو طائراً أو انساناً ، بدون تبديل أو تعديل أو انتقال ، مهما طال الزمن .

فاذا أخذنا بأي واحد من الافتراضات وعدنا الى القول السائد بان الحياة قد ظهرت من بعض الكواكب في شكل جرثومة انسلت من الفضاء دون ان يصيبها تلف ، واستقرت على الأرض بعد ان اجتازت درجات من الحرارة المتفاوتة بين الصفر المطلق الى آلاف الدرجات

١ - يقصد في هذا التوافق اتحاد مواد كيميائية معينة مع الماء في وقت وظروف حرورية ملائمة .

المثوية ، وجب علينا أن نستخلص من ذلك بأن هذه
الجرثومة وجدت لنفسها المكان الملائم لاستمرار حياتها ،
وهو قاع المحيط على الاغلب ، حيث الحرارة ثابتة نسبياً
وحيث أدى اتفاق مدهش في الظروف الى بداية تولدها
وتسلسل حياتها وتطور أجزائها في الماء والارض والاجواء
باتجاه واحد غير قابل للنقض .

والسؤال هنا هو معرفة ما اذا كنا انت وانا واشباهنا
مجرد توافق عرضي للمادة والزمن ، ام أننا خطرنا على
هذه الأرض بوصفنا اطفالاً لمنبع الحياة الكوني ، أسياداً
بين الحيوانات وذوي تكوينات معقدة التركيب بشكل
لا يوصف ، واصحاب عقول أعدت عن قصد لتلقي
اللمحة من القدرة الازلية والنفحة الالهية التي نسميها الروح .
ان الخلية الفريدة البروتوبلازمية^(١) كائن حي يتمتع
بالقدرة على توزيع الحياة ومطابقة كل مخلوق لبيئته حيثما

١ - البروتوبلازم: مادة زلاية حية تتكون منها خلية الاجسام النباتية والحيوانية.

دروب النيرفانا

تتوفر شروط الحياة ، من قاع المحيطات الى أعالي السماوات ،
وتكون شخصية ومزاياه الفردية حيثما كان ، مكسبة
إياه مزيداً من الملاممة والمواءمة على حساب مروتها
وقابليتها للتغيير وعجزها التام عن العودة الى الوراء مهما
كان الامر .

وهنا يمكن ان نتساءل عما اذا كان ثمة فهم او ادراك
لهذه الخلية المدهشة التي استخدمت في البدء نور الشمس
في حل مركبات كيميائية لاصطناع غذاء لها ولاخواتها ،
والتي جعلت من اتحادها الوثيق في ما بينها وحدة قادرة
على تأدية المهمات المختلفة الموكولة اليها على الوجه الاكمل .
انه من الواضح ، سواء اعتقدنا بوجود هذا الفهم
والادراك لديها او عزونا نشاطها الى غريزتها الخلقية ،
ان مجموعاتها تنسجم تمام الانسجام مع احتياجات الكائن
الحي التي هي جزء منه ، فتكيف نفسها من حيث
الشكل والطبيعة للقيام بالوظيفة الملقاة على عاتقها بلا تردد

ولا تباطؤ ، فيقوم بعضها لينبي العظام ، ويذهب بعضها
ليكسوها لحماً ، ويعمل بعضها في مد الاقنية وتنظيم شبكة
الاعصاب بينما يجهد بعضها في غزل الشعر ونسج الجلد ،
كل ذلك بلا تداخل ولا تشابك ولا تجاوز ، اذ لم نصادف
قط ان قامت مجموعة بغير العمل المخصص لها او خارج
المجالات المحددة لمزاويلته . إنها تبدو وكأنها مدفوعة بفعل
ارادة خفية سحرية لتقوم بالعمل الصحيح اللازم في المكان
المطلوب والوقت الملائم ، كل ذلك بهمة لا يعتمورها
الوهن ونشاط لا يشوبه الفتور .

فاعتقد في سرها ما يرتاح اليه عقلك ، وحاول أن
تدرك من نشأتها ما أعجزني ادراكه ، ولكن حاذر ان
تعزو وجودها وحياتها وتطورها الى المصادفة المحضة ،
لأنك ان فعلت ، أشككت الناس بسلامة تفكيرك واعلنت
عن جهل لا يليق بمن كان يمثل معرفتك وايمانك ، اذ
أنه من المحال حسابياً كما تعلم أن تتوافر كل شروط الحياة

دروب النيرفانا

الجوهريّة على سطح الأرض بمجرد المصادفة . فحجم الكرة الأرضيّة وحده ، لو أنّه كان أكبر أو أصغر مما هو عليه ؛ لاختلّفت أبعادها عن الشمس ولم تمكّن الحياة عليها . ولو أنّ طبقة الهواء فيها كانت أكثر ارتفاعاً أو أشد كثافة ، لأحرقت ملايين الشهب المندثرة كل يوم في الفضاء الخارجيّ كل ما هو قابل للاحتراق على سطحها ولما اقتصر نور الشمس في اختراقها على مقدار التأثير الكيميائيّ اللازم لحياة النبات وقتل الجراثيم وإنتاج الفيتامينات دون الضرر بالإنسان . ولو أنّ قشرة الأرض كانت أغاظ أو أدقّ مما هي عليه ، لاختلّفت درجات امتصاص ثاني أكسيد الكربون والأكسجين واستحال تكوين النبات الذي يعتبر المصنّع الأساسيّ المسخر لإنتاج أوّل عناصر الحياة واطر شروطها ، وهو مادة الأكسجين .

فاذا رأيت أنّ هذا التوازن والكمال الذي لم يطرأ عليه تعديل أو تغيير منذ ملايين الملايين من السنين ،

وان هذا النظام الدقيق البديع الذي يسير عليه الكون
 باجمعه منذ الازل والى ابد الآبدن ، هو نتيجة لمصادفة
 عرضية ، حق لك ان تنحاز الى صفوف من ترى نفسك
 جديراً بالانضواء تحت لوائهم ؛ وان كان لا ، وهو
 الاغلب ، فتعال معي نقف اجلالاً لهذه الروعة الاخاذة
 ونطرق خاشعين أمام عظمة ما ابتدعته قدرة أحكم
 الحاكمين .

الفصل الرابع

شخصياتنا

وقد نقشت على هامة القصر المنيف هذه
العبارة الغريبة : انني لست ملكا لاحد والى كل
ملكيني . لقد كنت فيه قبل ان تدخله ،
ومستظل فيه بعد ان تبرحه .

ديدرو

ان لكل مخلوق حي شخصية ذاتية مستقلة تبنيها
وتسمها بطابعها المستقل الخاص عوامل اصلية ثلاثة هي
الوراثة والتصالب ^(١) والبيئة .

اما الوراثة فسنة طبيعية قاهرة ، تخضع لقوانينها عموم
الكائنات الحية على انواعها ، ويتم بموجب قواعدها انتقال
معظم صفات السلف الى الخلف ^(٢) . ولا يقتصر توارث
هذه الصفات على نوع معين فيها ، بل يشمل كافة ما يطلق
عليه اسم صفة أو حالة أو ميزة ، حكيمية ^(٣) كانت أو

١ - التزاوج من بيئات مختلفة .

٢ - اما العلماء الروس من اتباع « مينشورين » فانهم يعرفون الوراثة على انها
ميزة الكائن الحي في الاصرار على الحصول على شروط معينة تلائم حياته
وتطوره ، وانها نتيجة تكاثف المؤثرات الخارجية الطارئة على سلالات اسلافه .
(من محاضرات العالم « لسنكو » عميد اكااديمية العلوم النباتية في الاتحاد السوفيتي ،
في كتاب : الوضع الراهن للعلوم البيولوجية في الجمهوريات الاتحادية الروسية) .

٣ - تعبير مصطلح عليه ويعني شكلي مادي .

مُخصَّصاتنا

نفسية ، قديمة كانت أو مكتسبة ^(١) ، ويتم انتقالها بحكم واحد من نواحيها الاربع التالية ^(٢) :

أولاً : الوراثة المباشرة ^(٣) وهي تلقِّي الخلف صفات ابويه المشتركة

ثانياً . الوراثة الراجعة ^(٤) وهي التأثير بصفات واحد من الابوين

ثالثاً : الوراثة الراجعة ^(٥) وهي تلقِّي صفات يعود منشؤها الى الاجداد واسلافهم ولو لم تكن ظاهرة في السلف او سلف السلف المباشر

رابعاً : الوراثة المتوافقة ^(٦) وهي التأثير بصفات السلف في عين السن او الظرف اللذين ظهر فيها لديه ، كالمرض

١ - عند توفر بعض شروط معينة ذكرت في الصفحات المقبلة .

٢ - واضع هذه النظرية هو العالم البريطاني تشارلز روبرت داروين .

٣ - ويطبق على هذه الوراثة في كتب العلم الفرنسية اسم « هيرديته ديركت »

٤ - « هيرديته بريوندرانت » » » »

٥ - « هيرديته دو روتور » » » »

٦ - « هيرديته هوموكونيك » » » »

دروب النيرفانا

او الموت في سن واحدة للأب والابن .

وقد استخلص العالمان « نودان » ^(١) و « مانريل » ^(٢)

من هذه النواميس ومن تجاربها واختباراتها العديدة
ثلاثة قوانين تعتبر دعامة قوية ، ولو أنها غير مطلقة ، في
سنن الوراثة ^(٣) ، فقد اثبتنا ان تزواج كائنين مختلفين يأتي
بالنتائج التالية :

ا - يتشابه مجموع الانتاج الاول في ما بينه .

ب - يبدأ التشابه مع الاجداد اعتباراً من الجيل الثاني .

ج - يتمتع التشابه في الجيل الثاني وما يليه نظاماً معيناً .

فاذا زواجنا أرنباً أبيض خالص النسب بآخر أسود

خالصه ، جاء الصغار شهباً كلها ، واذا تزوجت هذه

١ - شارل نودان : عالم نباتي فرنسي ولد عام ١٨١٥ وتوفي عام ١٨٩٩

٢ - ورد ذكره سابقاً

٣ - ان كل هذه السنن والنواميس والقوانين ، على دقتها ، ادرجت للاستثناس ،
اذ ان علم الوراثة الحديث اثبت في النطفة او البيوض او البنور ، وجود عصيات
بشكل حلقات متسلسلة في منتهى الصغر ، دعاها « الجينات » او الوحدات
الوراثية التي تحمل للخلف صفات السلف .

شخصياتنا

الشهب ، جاءت صغارها بيضاً وسوداً وشهباً ، بنسبة النصف للون الراجع في الجدّين ، والرّبع لكل من اللونين الآخرين . اما اذا زواجنا دجاجة اندلسية بيضاء بديك اندلسي أسود خرجت الفراخ برشاً . واذا ما تزوجت هذه فيما بينها ، كان لون ريش سلالتها أبيض او أبرش واسود كما في الارانب ولكن بنسبة النصف للون الابرش وهو لون السلالة الاولى ، والرّبع لكل من اللونين الأصليين ، بعكس ما حصل في الارنب ، اذ ان نسبة النصف كانت لأحد اللونين الأصليين ، بينما أنها هنا للون السلالة الاولى .

وتتبع الوراثة في الانسان عين النظام المشاهد في المثال الثاني ، يؤيد ذلك ما حدث عام ١٧٧٩ عندما رست احدى سفن المحيط الهادي في جزيرة غير مأهولة اسمها « بيتارين » واستوطنها بحارتها البيض مع بعض الزنجيات البولنيزيات اللواتي كنّ على ظهر السفينة . ولما اصبح

دروب النيرفانا

عد هؤلاء حوالي الثمانمائة بعد مضي عدد من السنوات .
لوحظ ان ما يقارب النصف كان خلاسياً^(١) والنصف
الآخر بين أبيض وأسود .

وبديهي أن لا يكون الفارق مثل هذا الواضح الذي
هو عليه في الامثلة المتقدمة اذا كان التباين بين الابوين
طفيفاً كتزواج أرنب اسود بأخر اشهب ، اذ ان النسل
يكون عندئذ متدرج لونه بين الاسود والاشهب ، وهو
ما يدعى بوراثة السلسلة المتتابعة .

واذا ما حدث ان بقي النسل محافظاً على اللون
الاشهب في اخلاف السلالة الشهباء الاولى الناتجة عن
تزاوج الابيض والاسود بدون ان يحصل ما يعيد صفات
احد الجدين الاصليين ، تطلق عندئذ على اللون الاشهب
صفة السيادة القطعية في النسل . وتكون السيادة متمثلة
عندما تتخذ السلالة في بدء حياتها صفات أحد الابوين

١ - الخلاسي هرولد الزوجين المختلفين في لون البشرة

تخصيصاً

ثم تستبدلها في صدر حياتها بصفات الآخر^(١) .
ومن أنواع الوراثة النادرة، نوع الوراثة بالانقطاط^(٢)
وهو تَلْقِي صفات غريبة، ليست للأم ولا للأب ولا لأحد
من الاجداد ، بل لزوج سابق للام ، كإنجاب ولد في
جسده بقاع سوداء ، ابواه ابيضان تماماً ولكن كان سبق
للأم ان تزوجت باسود قبل سنوات . وقد أورد « داروين »
مثالاً في الحيوان ، على هذا النوع ، جاء فيه أن فرساً لُقِحت
بجمل الوحش فوضعت منه بغلاً . ولما لُقِحت في مرتين
متتاليتين بحصان من نوعها ، جاءت الامهات تحمل في
أعناقها وأرجلها خطوطاً تشبه خطوط الملقح السابق .
وقد أوّلت هذه الوراثة ببقاء بعض البويضات الملقحة في
المبيض أثناء التزاوج الاول ، او بعدم توفر الشروط
الملائمة لنمو تلك البويضات في حينه او باكتساب الأم

١ - وهو كثير المشاهدة لدى انواع الحمام ويعرفه المشتغلون بتربيتها

٢ - معروف عليها باسم « تيليغوني »

دروب النيرفانا

لبعض صفات جنينها أثناء الحمل وظهور هذه الصفات في المشيمة الجديدة .

ولا بد من الإشارة هنا الى الاثر الكبير الذي تحدثه البيئة ، وفي طبيعتها درجة الحرارة ، في تبديل التراث المنقول ، لأن مبادلات الجسد الحيوية واعماله الوظيفية تظل على ماهي عليه طالما هي في البيئة التي تعودتها ، فاذا ما حصل تغير في هذه البيئة ، اختلف التبادل الحيوي فحدث تبديلاً في الشكل . والبريطانيون الذين قضوا سنوات طويلة في الهند او في افريقيا خير دليل على هذا الاثر^(١) .

اما توارث الصفات المكتسبة بعد الولادة ، من خلقية أو جسدية أو مرضية ، فان العلماء لم يستطيعوا القطع حتى الآن برأي اجماعي حول هذا الموضوع رغم وفرة

١ - اذ ان كثيرا ما يعودون الى وطنهم الاول وكانهم مهاجرون اليه ، يحملون من حيث كانوا اكثر صفات اصحاب البلاد

تخصياتنا

الأمثلة المؤيدة لتوارث هذه الصفات في مملكة الحيوان^(١) والنبات وعدم خلو الجنس البشري من بعضها ، كشبت اصابة اثني عشر شخص من اسرة عدد أعضائها اربعون ، بالورم الوعائي الذي اكتسبه مؤسس الأسرة بركوبه الدائم للخيل^(٢) ، فالبعض من هؤلاء العلماء لا يزال ينفي هذه النظرية نفيًا باتًا مستندًا الى مثال الختان الذي يزاوله الاسرايليون والمسلمون منذ آلاف السنين دون ان يفضي في الذراري المتعاقبة الى اي تبديل في شكل القلفة .

ان وجاهة هذا المثال بالاضافة الى ما يعرفه الطب من ان التشوهات والجدوع لا تنتقل الى السلالات الا اذا سبق وقوعها داخل الرحم ، تدعونا لأن نسعى لتحديد

١ - كالأقدرة على اكتشاف الاثر والبحث عن الطريدة عند الكلاب وسرعة العدو عند الخيول .

٢ - العائلة المذكورة بلجيكية وتدعى عائلة «دريو» وقد أورد هذا المثل الدكتور «بارو»

القاعدة التي نرى أنه يتم بموجبها انتقال الصفات المكتسبة لدى الانسان ، وتتلخص ، باعتقادنا ، في توفر واحد من الشرطين التاليين :

أولاً : ان يتم اكتساب الصفة داخل الاحشاء اثناء التكوين ^(١) .

ثانياً : ان يحصل الاكتساب بعد الولادة بالتفاعل الذاتي وبدون وساطة خارجية ^(٢) .

اما الصفات النفسية والخلقية ، اذا كانت مكتسبة ، فانها لا تنتقل بالوراثة إلا اذا مارسها الانسان طويلاً وتمكنت منه واصبحت بالنسبة اليه بحكم الصفات الموروثة الاصلية ^(٣) . واذا ما اصبحت كذلك ، فانها تنتقل للخلف بموجب واحد من القواعد المندلية مع شواذها .

١ - المقصود هنا انتقال الصفات البدنية من شكاية ورضية وغيرها

٢ - وهو ما يفسر عدم انتقال شـ كل القلفة بعد الحتان بالوراثة

٣ - كممارسة التقى والصدق والشجاعة حتى تصبح بعمق الصفة الوراثية

وفي ذلك تفسير لشواهد كثيرة وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف^(٢) ، واخرى كثيرة نصادفها في انفسنا وبين ظهرانينا كل يوم ، حتى أننا أصبحنا نكاد لا نستغرب ان ينجب التقي فاجراً والصالح مجرماً والعافل جاهلاً ، ونؤمن بالمثل الذي اشاعته القافية من ان النجيب لا ينجب واذا انجب أعجب ، بينما أن كل ذلك هو شذوذ القاعدة العامة . فالموسيقار الكبير « باخ » كان ابوه « جان امبرواز » موسيقياً رسمياً في بلاط « ايزناخ »

١ - في سورة نوح ان نوحاً عليه السلام دعا ربه لينقذ ولده زاعماً انه من اهله فاجيب بانه ليس من اهله وانه عمل غير صالح وفي سورة الكهف ان الخضر وموسى عليهما السلام استطعما في مدينة انطاكية فابى اهلهما ان يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد ان ينقض فاقامه الخضر عليه السلام ليحفظ كنزاً كان تحته لولدين في المدينة كان ابوهما صالحاً . وفي التفسير ان هذا الاب الصالح هو الجد السابع لهذين الولدين من ناحية الام وان تشابه صلاحهما بصلاح ابيهما جعلهما جديرين بالكثرة الذي تضارب القول في ان يكون صفائح من ذهب او لوحات من اصول الحكمة . وفي سورة التغابن ان : يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم مدوداً لكم . وقد انفرد الشرييني في تفسيره عن تفسير الطبري عن ابن عباس ان سبب نزول هذه الآية هو شكوى عوف بن مالك الاشجعي الى النبي صلى الله عليه وسلم من جفاء اهله وولده

٢ - كحديث : خبيث الرجل الطيب في منيه ، رواه ابن ماجه وحديث : تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ، رواه الترمذي

دروب النيرفانا

وجده « جان كريستوف » ضارب الارغن في عين البلاط ،
وسلفه الثالث « هنري » ضارب الارغن الدائم في كنيسة
« ارنتاوت » وسلفه الرابع « جان » ضارب الارغن في
كنيسة « ارفورت » وسلفه الخامس « هانس » موسيقياً
رسمياً في هيكل « دوق غوتا » . اما السلف الموسيقي
الاول ، فقد كان يدعى « ويت باخ » ، وهو خباز
ونجار له بعض الميول الموسيقية والغنائية ، فأورث هذه
الصفة الى سلالة التي اجتمع منها في احدى الحفلات عام
١٧٥٠ ، مئة وعشرون موسيقياً كلهم من عائلة باخ .

وكذلك كان ايضاً اجداد العالم الرياضي السويسري
الكبير « برنولي » الذي انجبت عائلته اربعة عشر جيلاً
من العلماء خلال قرنين . ولا يقل اسلاف الرسّام الايطالي
الكبير « رفايل » شهرة عن هؤلاء ، فقد كان ثلاثة
منهم من أشهر رسامي عصرهم .

ولكن توارث هذه الميزات وبقية الصفات الحكيمة

والخلقية ، ما كان منها حسناً وما كان سيئاً ، فانه يزول بعين
النواميس التي انتقل بها الى الخلف ^(١) وعلى نفس
النهج الذي تضمنته القوانين « المندلية » ^(٢) . فالإرادة

١ - يرى العلماء الروس ان ميزة التوالد تعني حتما توالد الشبه وانها شاملة لكافة
السكانات الحية وان اختلاف البيئة يورث صفات جديدة تختزنها السلالات لمواجهة
ظروف حياتها الحديثة

٢ - اما العلماء الروس من اعضاء الحزب الشيوعي واتباع العالم النباتي ميتشورين
فانهم يسفهبون جملة اعمال مانديل ومورغان ووايسمن ويؤكدون انتقال الصفات المكتسبة
في النبات ، ويفرقون بين النظريات العلمية الخارجية التي يصفونها بالبرجوازية الخلقية
بالاعمال والرد وبين نظريات علمائهم الواقعية الصحيحة الجديرة بالاهتمام والاتباع (من
محاضرة السيد تشيكيمينيف الوزير المعاون لقرى السوفكوز في الصفحة ٢٥٥ من مجموعة
ضبوط دورة اكااديمية لينين باللغة الفرنسية) ويتهمون المشتغلين من زملائهم السوفييت
بعدم الوراثة النباتية على اساس مندلية بالرجعية والعمل ضد الشعب ومصلحة الزراعة
الاشتراكية ويروجون بان دراساتهم وتجاربهم المخبرية تضر ضرراً بالغاً في التربية الفكرية
والعقيدية للنشء الحديث وان مصيرهم مع كل من يحاول معاندة تيار النظرية الميتشورينية
الزوال حتماً (من محاضرة السيد ميتين ، عضو اكااديمية لينين ، في الصفحة ٢٤١ ، ٢٤٣
٢٥١ ، ٢٥٣ من مجموعة ضبوط دورة اكااديمية لينين) ثم يهيئون باكااديمية العلوم
السوفياتية ان تدفع بمؤسساتها للتقيد بالقواعد الماركسية - الانجليزية - اللينينية - الستالينية
بدلاً من تشجيعها على المضي في انجازاتها الفوضوية بدراسة نظريات الغربيين العقيمة .
(من محاضرة السيد ديمترييف مدير برنامج اقتصاد غوسيلان الربفي في الاتحاد السوفياتي
اثناء انعقاد دوة اكااديمية لينين)

دروب النيرفانا

الشخصية في الانسان ، هذه الهبة الرائعة ، هي الاصل
والسر في تسليم السلالات مشعل نهوض الامم وارتقاؤها ،
وهي السبب والعلة في تدهورها واندثارها^(١) .

١ - لان اهمال رياضة الارادة يؤدي الى ضعفها وبالتالي الى اضمحلال الصفات
المنتقلة الى السلالة .

الفصل الخامس

الحقل الباطن

لقد صرفت ثلاثين عاماً في اعداد «فاوست»
اما السبب في ذلك فهو اني كنت أسمى لأن
استولد بقوة الارادة ما تهبه الطبيعة عادة
بصورة عفوية .

غوته

ان شخصيتنا المبنية من عوامل الوراثة والتصالب
والبيئة ، تشكل وحدة اجمالية لها ولاشك محاسنها ومساوئها
الاصلية ، ولكنها ، على استقلالها ، عشواء في طريقها ،
سهل ترديها في مهاوي الخطيئة والرزيلة إن لم تأخذ الارادة
بيدها لترقى بها في معارج الاخلاق والفضيلة . ولكن
الطبيعة العالمية بوعورة تلك المراقي وصعوبة مسالكها ، لم تهملها
ولم تدعها لشأنها بل امدتها بالعامل الكفو الفعال الذي يملك
عنصر المساعدة الجدية ، وهو ما ندعوه بالعقل الباطن .
وقد عرفه البعض من علماء النفس ^(١) بأنه العقل القديم
الذي يعمل عن غير وعي منا ويسيطر على كثير من
تصرفاتنا ويجري في الافصاح عن مشاعرنا ، على اساليب
صيانة بدائية .

١ - امثال اتكنسون وده بودوين وفرويد

العقل الباطن

اما البعض الآخر، امثال الدكتور « سرج فورونوف » ،
فانه يعين تشريحاً موقعه من المخ ^(١) ، ويفسر عمله بأنه
مظهر لنشاط حجيرات مادته العاملة خارج نطاق العقل
الواعي وتأثيره .

ولكن اختلاف التعاريف لا يؤثر في جوهر الناحية
المهمة في موضوع دراستنا وهو امكان استخدام هذه
الطاقة استخداماً يسهل ممارسة الصفات المؤدية الى رقي
شخصيتنا فالعقل الباطن اداة طيعة رائعة تؤدي لصاحبها
من الخدمات ما لا يخطر له على بال ، على أن يحسن
استعمالها ولا يعرقل سير اتجاها ، لأن عملها الوثيد
الدقيق يتطلب سكونا مطلقاً في الجوارح والاعصاب
وهو ما لا يتيسر الا في النوم ، او استغراقاً تاماً فيما يشغل
الذهن من مسائل وعلوم .

١ - يمكن للمتبعين لهذه الدراسة ان يراجعوا كتاب الدكتور سرج فورونوف :

وظيفة العقل الباطن في الانتاج العلمي صفحة ٨٥ و ٨٦ و ٨٧

دروب النيرفانا

ويعمل هذا العقل خارج مجالات الحس والوعي والجهد المادي والفكري بتأثير الايحاء المباشر المعروف بالاستهواء ، او الايحاء غير المباشر الذي يتكفل به العقل الواعي بانشغاله انشغالا تاما بما يبحثه .

فالايحاء المباشر أو الاستهواء هو التلقين والتكرار بالذات او بالواسطة ^(١) لتسهيل عمل الارادة في الاغراء على إيان ما يصعب على المرء أن يقوم به ، او الامتناع عما يكره أن يتخلى عنه ، أو تيسير حصوله على ما يعسر بلوغه ^(٢) ، او تسهيل مهمة عقله الواعي في حل المعضلات النفسية والعالمية .

اما الايحاء غير المباشر ونتائج تأثيره العجيبة في العقل

١ - لذات النفس او للغير

٢ - وهذا النوع ينفع في الشفاء من امراض عديدة كما ينفع في التخلص من صفات خلقية ذميمة او قيام بواجبات تبدو عسيرة ومملة . وطريقتها الاسترخاء التام ثم تكرار ما يود المرء الحصول عليه عشرين او ثلاثين مرة ، واعادة ذلك على فترات متقاربة .

العقل الباطن

الباطن ، فامر خليك بان تتوقف عنده لنستجلي غوامضه
علنا ندركه فننتفع منه في عقولنا وأعمالنا ، لأنه يعتبر في
هذه الحالة قدرة خلاقة تمد صاحبها بإلهامات علوية تأتيه
وكأنها صادرة عن قوة خارقة غريبة عنه ، يتحدث عنها
« شوبنهاور »^(١) في نفسه فيقول « لست انا الذي وضع
اسس فلسفتي . لقد شعرت بها تصاغ في عقلي بدون
وساطتي وفي ظروف لم يكن فكري مشتغلاً بها ولا
ارادتي موجهة نحوها ، وكان كل دوري فيها مقتصرأ
على تسجيل الحواطر الغريبة الواردة » .

ولكن هذه النتائج المذهلة تكون مقرونة في أكثر
الاحيان بالجهد والعمل الارادي الموجه ، خصوصاً لدى العلماء
الذين يقضون وقتاً طويلاً في البحث والدرس حتى اذا
اعجزهم امرهم ويئسوا منه ، برز لهم الحل الموافق من
اعماق افكارهم ، فتلقفوه ثم انكبوا على دراساتهم وابحاثهم

١ - ارتور شوبنهاور : فيلسوف الماني ولد في داننبرغ عام ١٧٨٨ وتوفي عام ١٨٦٠

دروب النيرفانا

يجددونها على ضوءه . وقد بحث « غوته »^(١) هذا التفاعل في رسالة لصديقه فون هامبولد قال فيها : « ان المران والدراسة والتأمل والنجاح والاختفاق والتشجيع والمقاومة ، والتفكير في كل ذلك معاً ، يبعث فينا حيوية لاشمورية تشكل باتحادها مع عقولنا الواعية قوة خارقة تدهش العالم . وقد جاء عن لسان « والتر سكوت »^(٢) انه كثيراً ما اضطر للتوقف ليلاً عن انجاز عمل ادبي كان يقوم به لعجزه عن العثور على الفكرة الموافقة او المقطع الملائم ، ولما تركه ونام كانت الفكرة او المقطع بانتظاره في الصباح . ومثل ذلك كان يقع « ميشليه »^(٣) الذي تعود ان يلقي نظرة عابرة على وثائقه قبل ان يذهب إلى سريرته ،

١ - وولفغانغ غوته : شاعر وكاتب وعالم وفيلسوف الماني ولد في فرانكفورت عام ١٧٤٩ وتوفي عام ١٨٣٢ .

٢ - كاتب قصصي اسكتلندي ولد في ادنبورغ عام ١٧٧١ وتوفي عام ١٨٣٢ . من اشهر مؤلفاته « ايفانويه » .

٣ - جول ميشليه : مؤرخ فرنسي ولد في باريس عام ١٧٩٨ ، وتوفي عام ١٨٧٤ .

فيستفيق في اليوم الثاني وأكثر اجوبة تساؤلاته حاضرة
في ذهنه .

ويقول « كوندروسيه » ^(١) انه كثيراً ما صرف عبثاً
ساعات طويلة في السعي لحل مسائل رياضية معقدة ،
ولكنه عندما كان يضطر للاستراحة والنوم ، كانت الحلول
الصحيحة تأتيه في الحلم .

ويرى « كولبرج » ^(٢) انه بينما كان في إحدى
الامسيات مضطجعاً في فراشه يقرأ كتاباً أدبياً ، اخذته
اغفائة قصيرة شعر أثناءها وكأنه ينظم قصيدة طويلة تقع
في ما يقرب الثلاثمائة بيت من الشعر . فاستفاق من فوره
واخذ بكتابة هذه الايات حتى اذا بلغ عددها الخمسين
دخل عليه زائر شغله بعض الوقت . ولما غادره الزائر

١ - انطوان نقولاده كوندروسيه : فيلسوف ورياضي فرنسي حكم بالاعدام
اثنا الثورة الفرنسية وانتحر في سجنه عام ١٧٩٤ .

٢ - واسمه صموئيل تيلور : شاعر انجليزي كان من اشهر محدثي عصره ، ولد عام
١٧٧٢ وتوفي عام ١٨٣٤

دروب النيرفانا

واراد الشاعر ان يتابع تدوين القصيدة ، تلاشت ابياتها ولم يعد في ذهنه منها الا صور مبعثرة .

وقد وضع الموسيقار « تاريتني »^(١) اثناء نومه مقطوعة موسيقية من نوع « السونات » اعماها « الشيطان » تعتبر حتى الآن مفخرة موسيقية .

ولكن هؤلاء جميعا ما كانوا ليحصلوا على مثل هذه المؤازرة القيمة الفعالة من عقلهم الباطن لولا انهم عملوا جاهدين صادقين^(٢) في مجالات سعيهم وغاياتهم . فاستطاع هؤلاء ، يستطيعه ايضا غيرهم ، بالجد والعمل الدؤوب وأدراك كنه هذه الهبة الرائعة ومقدار فائدتها ونفعها إن وُعي أمرها وأحسن تعيها .

ان العقل الباطن شخصية اضافية مستقلة ، يفوق

١- جيوسيب تاريتني : موسيقار ايطالي مشهور بعزفه على الكمنجة ونظرياته الموسيقية .

٢ - ماعدا العباقرة الموهوبين بالفطرة والتي تظهر عبقريتهم في سن مبكرة .

شخصيتنا الاصلية علماً وقوة وثباتاً ، ويزنا في ميادين
 ما نحاول ان نتعلمه بمراحل كثيرة ، ويمد لنا يد المساعدة
 في رفق ويسر بلا اجر ولا منة ، كل مبتغاه منا أن
 نكل اليه امرنا بعد ان نكون استنفذنا كل جهدنا .
 ولكن يجب مع ذلك ان لا يسهو عن بالنابا في كل
 الاحوال سيّد امره ، ان استجاب فوراً لداعي العقل
 مرة ، فانه قد يستأخر إجابته اياماً طويلة مرات . أمّا
 شكل الاجابة عنده فانه ثابت لا يتبدل ، يشعر به المرء
 كالومضة الخاطفة تغمر بالضياء زوايا عقله ، ويتدفق الحل
 والفكرة عليه كالسيل العرم حتى ليكاد يسبق يد الكاتب
 المشدوه امام هذا الفيض العجيب ، ثم يبطل السحر فجأة
 كما بدأ ، وتعود الامور الى مجاريها ، وترجأ التمتة الى
 موعد آخر ان كان قد بقي منها ما يستوجب الاتمام .
 وقد لا يقتصر عمل العقل الباطن في بعض الاحيان
 على الايحاء بالفكرة المصيبة او الحل الصحيح للعقل الواعي ،

دروب النيرفانا

بل يتعداه الى القيام بالعمل المطلوب بنفسه . فقد روى العالم النفساني « روينجر » قصة أديين شابين يقطنان معاً ، كانا يقومان من فراشهما ليلاً وهما نائمان وعيناها مغمضتان ، فينجزان في الظلام الدامس القصائد والمقالات التي لم يكونا قد انجزاها ثم يعودان فيندسان في فراشهما وهما لا يزالان نائمين ويروي « ديوجين »^(١) في كتبه انه عرف فيلسوفاً من معاصريه كتب احسن نظرياته وتلاها ونقحها وهو نائم .^(٢) وفي محفوظات اكاديمية الطب الفرنسية قصة فتاة بارحت فراشها وهي نائمة وهامت يوماً وليلتين في القرى والطرق العامة تبحث عن عمل يقوم بأودها ثم

١ - ديوجين لايرت : مؤرخ يوناني ولد في كيلكية في القرن الثالث قبل المسيح
اشتهر بتاريخ حياة الفلاسفة الاقدمين ، وهو غير الفيلسوف ديوجين الذي عاش
قبله بمئة عام .

٢ - فيكون العقل الباطن قد قام بالذات بالعمل المطلوب وسخر اجسامنا
لتنفيذ ذلك العمل .

اتبعت لنفسها في دار أحد مستخدميها فمادت الى
ذويها .

ولكن مثل هذا التصرف من قبل العقل الباطن لا
يقاس عليه ويعتبر من قبيل شذوذ القاعدة ويعطي البرهان
على استقلاله استقلالاً تاماً عن الارادة والعقل الواعي .
فما يجب ان يستوقف تفكيرنا ليست اساليب نشاطه
واشكال ظهوره ، بل كيفية تسخير خدمتنا واستغلاله
لمنفعتنا ؛ وهذه الكيفية لا تعدو عن ان تكون الاقرار
بوجوده والاطمئنان لمقدرته ثم العهدة اليه بما يجب عليه
ان يفعله ، ثم ترقب نتيجة اجابته ^(١) ؛ واذا ما صادف ان اتبع
في اجابته طرقاً لم يالفها منطقنا ، فانه ينبغي لنا ان لا نباغت بها ولا
تبلبل افكارنا منها ، بل نتقبلها بالقبول الحسن ونسرع بتدوينها
خوفاً من ضياعها ؛ فقد قال « سبيلر » ، وهو أحد خبراء

١ - ويكون الترقب متصلاً حتى اذا جاءت الاجابة دونها صاحب العلاقة رأساً .

دروب النيرفانا

علم النفس ، بان الخسران المبين للإنسان هو أن يجعل منطقته
بالمرصاد لما يفيضه عقله الباطن عليه ، اذ ان الفكرة الطارئة
التي تبدو شاردة ، اذا ما جمعت الى اخواتها الشاردات ،
شكّلت معها وحدة منطقية قيّمة ، قد يكون لها
شأنها وخطرها .

الفصل السادس

العقريّة الخلقية

يجب أن يعلم الجميع بأن الفضيلة ليست
حالا طبيعية عفوية ، بل كسبا جليلا يحنيه
العقل أو سمة نبيلة تفرضها البيئة .

ارسططاليس

تتماز العبقرية الخلقية عن غيرها من العبقریات بتعدد
نواحي نشاطها وسعة مجالاتها وبالغ أثرها في الروابط
الاجتماعية وحياة الافراد وصفاتهم النفسية . وهي تختلف
عن العبقریات العلمية والرياضية والفنية بطول فترة حضانتها
وهدهوء طريقة ظهورها وصعوبة تقدير وجودها لانعدام
ميسم خاص لديها تسم به اصحابها فيتعرف الناس عليهم
من الشذوذ الغالب على تصرفاتهم .

ويجد عباقرة الخلق انفسهم مساقين بحكم رسالتهم
للخوض في بحث كل ما يهم الفرد عقلياً وجسدياً واجتماعياً ؛
فترام يضعون النظم الاجتماعية وينطقون بالنظريات العلمية
ويقطعون بالاحكام الحقوقية ويدلون بالآراء الفلسفية ،
كل ذلك بشكل متداخل متوافق متكامل يدعو الدهشة
والخيرة ، الخيرة من هؤلاء الذين يشروعون ويفتون ويحكمون

ويأمرهم وينهون ، ثم لا يخطئون .

وتقلب هذه الدهشة والحيرة في الاحوال غير العادية التي يكون فيها الوحي الالهي هو مصدر تلك العبقرية الى ايمان عميق في شخص صاحب الرسالة ، وتسليم اعمى للمبادئ والتعاليم التي ينادي بها ويدعو الناس الى اعتناقها .

مثال ذلك العقيدة الاسلامية . لما كان قصد الاسلام في نزوله بناء مجتمع مثالي في صحته وخلقه وعلمه ، فقد كان لازماً عليه ان يأتي بدستور مكتمل الصفات والشروط يكفل له غايته في حاضره ومستقبله ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فأتى به ، وقبله الناس على أنه سماوي من الخالق ، وهو في الواقع كذلك ، وعملوا به على انه عبادات لمرضاته طمعاً بجنته وخوف عذابه ، وهو ايضاً في ظاهره كذلك ، ولكن قليلاً منهم أدرك من خلاله ان الغني عن العالمين لم يقصد به إلا خير عبادته .

دروب النيرفانا

والناحية العلمية في موضوع هذا الخير متشابهة مع
ناحيته الفلسفية تشابكاً يتعذر معه على المرء ان يخوض
في بحث الاولى بدون أن يتعرض للثانية او عن غير
طريقها . لذا فاننا سنطرق الموضوع من أبسط اطرافه
ونسائر « المتقدمين المتطرفين » في احكامهم على الدين ،
وننفي معهم وجود الخالق ، ونسكّر الوحي المنزل ، ونقضي
بان القرآن كتاب وضعه اعرابي من قريش يدعى محمد بن
عبد الله ، ونحكم بانه من غير المعقول ان يصطفى الله
مخلوقاً أمياً من شعب لا تراث له ولا مدينة ، ليجعل
منه مهبط وحيه وحامل رسالته .

انا لسنا في معرض دراسة تاريخ الامم فما بين ايدي الناس
من كتب واسفار ومراجع ، تفيض عن الحاجة والزموم ،
وصفحاتها مكتظة بالحقائق والنظريات والقصص والحكايات ،
ان اختلفت بعض الشيء في الوقائع ، فقد اجمعت على ان
طور الانحلال والتدهور في الامم يبدأ حين تأخذ

الاخلاق في التقاص ويفقد العدل ميازينه ويعم اترف
الفاسق وتنقش الرذيلة ، وهو ما كانت عليه اكثر شعوب
الارض المتمدنة في ذلك العصر .

لقد كان العرب في الجزيرة شعباً فطرياً جاهلاً فقيراً
ولاشك ، ولكنه كان باقرار من عادى من المؤرخين ومن
والى ، مميزاً بصفات عرقية اصيلة ما توفرت لمجموع امة من
امم الارض ابدأ ، وهي صفات الصدق والامانة والجرأة
والاقدام والحمية والمروءة والعدل والمساواة ، وهي كلها في
فلسفة الثورات ، العناصر الاساسية التي لا بد منها لنجاح
الانقلابات الاجتماعية وضمان حياتها فالمعجب يبطل اذاً
حكماً من ان يكون حامل الرسالة الانقلابية العالمية واحد
من هؤلاء ، متعلماً كان هذا الواحد أو أُمياً ، لان النتيجة
في كلا الحالين واحدة : إن كتابه قد أفحم المتعلمين والجهلاء
على السواء ، وما احتوى عليه من اوامر ونواه ، لم
ينفذ العلم الي بعض سرها الا منذ زمن قصير ؛ فلا كتب

دروب النيرفانا

الاغريق ولا الرومان ولا الفرس ولا الصين ولا الهند ،
مع صعوبة احتمال امكان اطلاعه عليها ان كان متعلماً
واستحالة ذلك ان كان امياً ، قد اوردت تعليلاً او تفسيراً
لما جاء به . اما طرق الترغيب والترهيب فيه ^(١) ، وهي
خارجة عن الموضوع ، فتابعة للحقيقة القائلة بان الامم
كالافراد ، لها في عقولها طفولة ويفوعة وكهولة ، وان
حجتك في الاقناع مع طفلك غيرها مع زميلك او أخيك ،
وان النبي قد أمر ان يخاطب الناس على قدر عقولهم ،
وان العذاب والثواب مرهونان بنوع الخلق وطاقته .
اما البعث ^(٢) ، فلم يعد فيه ذرة من شك بعد ان
قطعت دراسة تحليل الذرات الحية واعادة جمعها اشواطاً
بعيدة واصبحت الآلات المصورة لآحداث عفت عليها
القرون مهيئة جاهزة ^(٣)

١ - هي القاعدة التي يتخذها ادعياء التقديمية في تهجمهم على المعتقدات .

٢ - وهو القاعدة الهجومية الثانية لادعياء التقديمية .

٣ - اشارة الى الآلة التي يقول مخترعوها انه بوسعها تصوير احداث مهمة عبر التاريخ كالحروب والكوارث القديمة والتي لا تزال ذرات صورها منتشرة في الفضاء .

فاذا كان كل هذا واكثر منه يستطيعه مخلوق بشر
فأي غرابة بقيت في ان يبعث الانسان حياً في مستقبل الايام
ليشاب او يعاقب على ما فرط بحق نفسه وحق اخيه
الانسان كأننا من كان ؟

وقد بحث القرآن لتنسيق المجتمع في تشريعات عدة ،
سياسية ^(١) وقضائية ^(٢) وتجارية ^(٣) وزراعية ^(٤) ونظم
احكام الصلات الاجتماعية ^(٥) واصول الحقوق المتبادلة ^(٦)

١ - وتتضمن السياسة العامة للدولة ، والخلافة والتنصيب والمبايعة ، ووظيفة
السفراء وخطاب الملوك والامراء ، وقد جمعت كلها ورتبت بشكل جدول لاحق
لهذا البحث كي يسهل الرجوع اليها عند اللزوم .

٢ - وتشمل شروط القاضي والقضاء والشهادة والقصاص والاحكام ، والتحذير
من الرشوة والظلم وشهادة الزور ، وقد ادرجت كذلك في الجدول اللاحق .

٣ - وتدخل فيها متفرعات التجارة من عقود وقروض وديون وربا واجور
وافلاس وحجر وغيرها مما ذكر أيضاً بشكل ضاف في الجدول .

٤ - وفيها بيان لاصول المزارعة والمغارة والحرق ، ذكرت ايضاً في الجدول اللاحق .

٥ - من زواج وطلاق وتبني وحقوق الرقيق والاماء والموالي والايام
والمساكين وابناء السبيل الخ . . . ذكرت آياتها بحسب أبحاثها في الجدول .

٦ - كحقوق الوالدين والاقارب والجيران واخوان الدين وحسن المعاملة
والاستقامة والاحسان ، اوردنا آياتها بترتيب أبحاثها في الجدول المذكور .

ثم خص الفرد باواصر ونواه قسرية ، ثبت من معالجتها العلمية انها قبل كل شيء في مصلحته الذاتية .

فشرط الشهادة الاوّل في ترتيب أركان الاسلام ، من جهته البسيكولوجية ، تمهيد للإقرار بصواب ما يتضمنه القرآن وما يقول به الرسول الاعظم . اما الشروط الاربعة الباقية ، فاثان منها فرديان وهما الصلاة والصوم ^(١) ، واثان اجتماعيان وهما الزكاة والحج .

اما الصلاة ^(٢) ، وهي في العرف العام صلة بين المخلوق وخالقه وطراز راق من الرياضة البدنية السويدية ، فان دراستها العلمية والفلسفية تكشف الحجاب عن عجب اوجه نشاطها القيمة . فحركاتها الرتيبة الهادئة المنسجمة التي يشترك في أدائها كل مفصل وكل عضلة ^(٣) ، تفعل

١ - في الحديث الشريف : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا اله الا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان » .

٢ - لما كان موضوع الدراسة علمياً فقد تجاوزنا عن التفسيرات الدينية .

٣ - يشترط لذلك ان تؤدي الصلاة على اصولها من اشباع للحركة واستراحة للجوارح بين الحركة والأخرى .

بالجسم ما لا تستطيعه أشد الرياضات عنفاً ، وتكسبه مرونة وقوة تلازمانه ما زال مصلياً وحيّاً^(١) . ان قسوة التدريب ودوامه قد يرفعان بمصاحبهما إلى مصاف الابطال ، ولكن ذلك لن يكون إلا على حساب المواهب العقلية لانه من الثابت ان الافراط في الالعاب الرياضية يمنع العقل من النمو وقليل من الرياضيين من هو على حظ وافر من الذكاء . فالجسد كله وحدة متناسقة من الممكن تنميتها جملة بالعمل الوئيد المضطرد ، ولكنه لا يستطيع أبداً كسباً بارزاً في احدى نواحيه إلا على حساب بقية الاعضاء والحواس والملاكات^(٢) ؛ والاسلام يعرف ذلك جيداً ، لذا فانه لا يريد امة تفور جيلاً ثم تهمد دهرأ او تومض قرناً ثم تختبأ أبداً ، بل يريد امة وسطاً

١ - في الحديث الشريف : من عاش تقياً عاش قوياً .

٢ - يعتقد الدكتور « فيسنجر » ان الابطال الرياضيين اقل مقاومة للأمراض الانثانية من غيرهم لانتشارها في الدم وتعممها في الجسم بسبب نقص خاصة البلغمه في الكريات البيضاء .

دروب النيرفانا

متساوية بالعقل والجسم والفضل والعلم ، حتى المال أرادته
بينها مشتركا والحد الوسط في الامم كحده في الافراد ،
فالعملاق النحيل عرضة لانواع العته والسل كما ان
القصير الممتلئ عرضة لامراض السكر والنقرس ،
وليس كالرجل الربعة مقدرة على مغالبة دهره
زمنًا طويلًا .

فالصلاة ، هذا التدريب اليومي الرفيق في الصباح
وفي المساء وقبيل طعام الغذاء والعشاء وبعيد القيلولة ، عدا
عن تنشيطها للدورة الدموية بصورة متصلة ، فانها ، بحركة
المفاصل الدائمة أثناء أدائها ، تمنع ترسبات الاملاح
فيها وتضطر الجسم الى امتصاصها .

وهي بالاضافة الى ذلك تمنع أعمالنا الفكرية والجسدية
من أن تنحط كفاءتها عندما يتجاوز الجهد المبذول المقدار
الطبيعي للعمل ^(١) فترغمنا على استراحات قصيرة نحوّل

١ - وهي الفترة الواقعة بين الفجر وصلاة الظهر والمخصصة للعمل اذ لا صلاة مفروضة فيها .

فيها جهودنا عن طبيعة أعمالنا ، حتى اذا ماعدنا اليها بعدها ، كنا أوفر نشاطاً وأشد انتباهاً .

اما ما فوق ذلك كله ، هو أن الصلاة باوقاتها نظام يُخضع الانسان نفسه عليه بمجهود ارادته ، ليحفظ عليه استواء عقله وبدنه . فكل امرئ يولد ، بقدر ، اما صالحاً أو طالحاً أو بين بين ، ولكنه لا يولد الاً وبين يديه مفاتيح كنوز أخلاقه ومحاسنه ومزاياه تهديه اليها تربية صالحة وترويض دائم للارادة . والاخلاق صفة متقاربة النسب مع الارادة والذكاء ولكنها تفوق أهمية كلا الاثنين لما لها من تأثير خطير مباشر على الكيان الاجتماعي في الامم . فالصلاة هي قوام النظام الذي يعتبر اولى دعائم الاخلاق وسلم ارتقاء الافراد ؛ اما دعامته الثانية ، وهو العلم ، فما من دين جعلها في صلبه كما جعلها الإسلام ، وما من رسول حث عليه الناس كما حث عليه محمد بن عبد الله . ففي القرآن الكريم : « يرفع الله الذين آمنوا منكم

دروب النيرفانا

والذين أوتوا العلم درجات ^(١) « ؛ وفيه : « هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون ^(٢) ؟ » وما يستوي
الاعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل
ولا الحرور ، وما يستوي الاحياء ولا الاموات ^(٣) .
كما فيه أيضاً ثلاثون آية غيرها تبحت صراحة او كناية
في العلم والحكمة وثواب طلبهما وتعليمهما وحرمة كتمانها ^(٤) .

١ - سورة المجادلة القسم الاخير من الآية ١١ .

٢ - سورة الزمر القسم الاخير من الآية ٩ .

٣ - سورة فاطر الآيات ١٩ الى ٢٢ .

٤ - وهي :

٦- الحث على العلم وابتغاء الحكمة :

الآية ١٢٩ و ١٥١ و ٢٦٩ من سورة البقرة

الآية ١١٣ من سورة النساء

الآية ١١٠ من سورة المائدة

الآية ١١٩ من سورة الانعام

الآية ٧ من سورة الانبياء

الآية ٣٤ من سورة الاحزاب

ب- تعلم العلم والرحيل في طلبه وتعليمه وحرمة كتمانها :

الآية ١٥٩ و ١٧٤ من سورة البقرة

الآية ١١٢ من سورة براءة

(التتمة في الصفحة التالية)

العبرة الخلقية

وفي الحديث الشريف : « لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة ^(١) » وفيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : « من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر ، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ،

الآية ٤٣ و ٧٥ من سورة النحل
الآية ٦٠ و ٨٢ من سورة الكهف
الآية ٧ من سورة الانبياء
الآية ٢٦ من سورة الملك
الآية ٢ و ٤ من سورة عبس
الآية ٤ و ٥ من سورة الفلق

ج - فضل الواستخين في العلم :

الآية ٧ من سورة آل عمران
الآية ١٦٢ من سورة النساء
الآية ٥ من سورة يونس
الآية ٧٦ من سورة يوسف
الآية ١٠٧ من سورة الاسراء
الآية ٥٤ من سورة الحج
الآية ٤٣ من سورة العنكبوت
الآية ٢٨ و ٣٢ من سورة فاطر

- عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ، رواه الترمذي بسند حسن .

دروب النيرفانا

والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ومن
ملك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له طريقاً الى
الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون
الكتاب ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة
وغشيتهم الرحمة وحفتمهم الملائكة وذكرهم الله فيمن
عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ^(١) . وفيه
ايضاً عن انس بن مالك رضي الله عنه : « طلب العلم
فريضة على كل مسلم ^(٢) » وفي رواية ومساملة .

اما الدعامة الثالثة ، وهي الارادة ، فالدستور الاجتماعي
الاسلامي برمه امتحان لهاورياضة ، وما الفرائض والوجائب
والسنن والمستحبات والمحرمات والمكروهات الا اساليب
وطرق تلتقي كلها ولا تنتهي عند غاية صقل الارادة وتهذيبها

١ - رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان
والحاكم في المستدرک .

٢ - رواه ابن ماجه .

حتى تصبح كصم الصخر صلابة وتسمي الفضيلة بين
المسلمين سليقة .

ان الاسلام لا يفرق بين أخلاق شخصية وأخلاق
اجتماعية . ان الاخلاق بالنسبة اليه سلسلة واحدة
متماسكة ، ان فسدت حلقة واحدة منها ، فسدت
كلها وذهب نفعها ؛ فالظالم في النار ولو صام
دهره ^(١) ، والزاني في النار ولو قام ليله ^(٢) ، والمرابي

١- لقد ورد الترهيب من الظلم في اثنتين وستين آية من القرآن الكريم وهي :

الآية ١٦٥ و ٢٥٤ و ٢٧٩ من سورة البقرة

» ٤٠ من سورة النساء

» ٢ و ٢٩ و ٥١ و ٧٢ و ١٠٧ من سورة المائدة

» ٢١ و ٣٣ و ٤٥ و ٥٢ و ٥٨ و ٦٨

و ٧٠ و ٩٣ و ١٣١ و ١٣٥ من سورة الانعام

الآية ٣٣ و ٤٤ و ٤٥ و ١٨٠ من سورة الاعراف

» ٢٥ من سورة الانفال

» ٣٦ و ٧٠ و ١٠٩ من سورة براءة

» ٣٩ و ٤٤ و ٥٢ و ٥٤ من سورة يونس

» ١٨ و ١٩ و ١١٣ و ١١٧ من سورة هود

» ١٣ و ٢٢ و ٢٧ و ٣٤ و ٤٢ من

سورة ابراهيم

الآية ٣٣ من سورة النحل

(التتمة في الصفحة التالية)

دروب النيرفانا

في النار ولو وهب الفقراء ماله ^(١) ، واللوطي في النار ولو

- الآية ٧٢ من سورة مريم
 » ٢٩ من سورة الانبياء
 » ٢٥ و ٥٣ و ٦٠ من سورة الحج
 الآيتان ٢٧ و ٣٧ من سورة الفرقان
 الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء
 » ٤١ من سورة الروم
 الآيتان ١٨ و ٥٢ من سورة المؤمن
 الآيات ٨ و ٢١ و ٢٢ و ٤٠ و ٤٢ من سورة الشورى
 الآية ٦١ من سورة الحجرات
 » ٧ من سورة الصف
 » ٥ من سورة الجمعة
 » ١٢ من سورة القلم
 » ١٠ من سورة البروج

وفي الحديث القدسي الطويل عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه : « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » رواه مسلم والترمذي وابن ماجة . وعن ابي امامة اياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه ان النبي صلوات الله عليه قال « من اقتطع حق امرئ بميمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال رجل : وان كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟ فقال « وان كان قضيبا من اراك » رواه مسلم . وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله قال : « دخلت امرأة النار من جراء هرة لها ربطةا ، فلا هي اطعمتها ولا هي ارسلتها تمرم من خشاش الارض حتى ماتت هزلا » رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

- ٢ - راجع ايات تحريم الزنى في الجدول اللاحق لهذا البحث . وفي الحديث الشريف عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه : « اذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد احلوا بانفسهم عذاب الله » رواه الحاكم والطبراني . وفيه ايضا عندما ساله عبد الله بن مسعود عن اعظم الذنوب عند الله : « ان تجعل لله ندا وهو خالقك » فقال عبد الله بن مسعود : ان ذلك لعظيم ! ثم اي ؟ قال : « ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك » فقال عبد الله بن مسعود : ثم اي ؟ قال : « ان تزاني حليلة جارك ! »
- ١ - راجع ايات تحريم الربا في الجدول اللاحق .

العقوبة الخلقية

حجج وجاهد^(١) ، والمغتاب في النار ولو زكي^(٢) وانفق وقضى
حياته ساجداً يتعبد ،^(٣) إلا من تاب من

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه قال : لعن رسول الله آكل الربا
وموكله وكتبه وشاهديه وقال : هم سواء ! رواه مسلم والترمذي .

١ - وقد ورد تحريمه مع المسابقة في سبعة آيات من القرآن الكريم وهي :

الآية ١٦ من سورة النساء

الآيتان ١٦٥ و ١٦٦ من سورة الشعراء

» ٥٤ و ٥٥ من سورة النحل

» ٢٨ و ٢٩ من سورة العنكبوت

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه
الترمذي والبيهقي وابن ماجه . وفي الحديث الشريف عن ابي هريرة رضي الله
عنه : « اربعة يصبحون في سخط الله ويمسون في سخط الله : المتشبهون من
الرجال بالنساء والمتشبهون من النساء بالرجال والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الرجال .
٢ - لقد ورد الترهيب من المكر والخديعة والحسد والبغضاء والاستهزاء والهمز
في احدى وعشرين آية من القرآن الكريم وهي :

الآية ٢٧ و ١٧٧ من سورة البقرة

» ٣٢ و ١٠٧ من سورة النساء

» ١٢٣ و ١٢٤ من سورة الانعام

» ١٠٢ من سورة الاعراف

» ٧٩ من سورة براءة

» ٢٧ و ٥٨ و ٧١ من سورة الانفال

(التتمة على الصفحة التالية)

-
- الآية ٢١ من سورة يونس
الآيتان ٢٠ و ٢٥ من سورة الرعد
« ٤٥ و ٩١ من سورة النحل
« ١٠ من سورة فاطر
« ٨٣ من سورة المؤمن
« ١١ و ١٢ من سورة الحجرات
« ١٠ من سورة الحشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتدرون الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم . قال : ذكرك اخاك بما يكره . قيل افرأيت ان كان في اخي ما اقول ؟ قال : ان كان فيه ما نقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته » رواه مسلم وابو داود والترمذي . وعنه ايضا في الحديث الشريف : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله ! » رواه مسلم . وعنه ايضا : « من اكبر الكبائر استظالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق » رواه ابو داود .

وعن عتبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجاب عندهما سألوه عن النجاة « امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ! » رواه الترمذي . وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه سال رسول الله عن افضل المسلمين فقال : « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه » رواه البخاري ومسلم .

الجدول اللاحق

١ - ارجحات الميانية :

١ - سياسة الدولة ونظامها :

- الآية ٢٩ من سورة طه
- = ٦٢ من سورة النور
- الآيات ٣٢ و ٣٤ و ٣٧ من سورة النمل
- الآية ٣٤ من سورة القصص
- = ٢٦ و ٢٨ من سورة المؤمن
- = ٣٨ من سورة الشورى
- = ٧ من سورة الحشر

ب - الخلاف والتضيق والمباينة :

- الآية ٣٠ من سورة البقرة
- = ٥٩ و ٨٣ من سورة النساء
- = ١٦٥ من سورة الانعام
- = ١٤ من سورة يونس
- = ٥٥ من سورة النور
- = ٦٢ من سورة النمل
- = ٣٩ من سورة فاطر
- = ٢٦ من سورة ص
- = ٧٥ من سورة الزمر
- = ١٢ من سورة الممتحنة
- = ١٦ من سورة التغابن

ج - وظائف السفراء وخطاب الملوك والأمراء

الآيات ٢٨ ، ٣١ ، ٣٦ من سورة النمل

٢ - الراجحات القضائية :

١ - القاضي وشروطه :

الآية ١٨ من سورة الزخرف

ب - الحكم بالفرآن والعمل والتعزير من الرسوة والظالم :

الآيات ١٨٨ و ٢١٣ من سورة البقرة

الآية ٢٣ من سورة آل عمران

الآيات ٥٨ و ٥٩ و ٦١ و ٨٣ و ٨٥ و ١٠٥ و ١٣٥

من سورة النساء

الآيات ٨ و ٤٢ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٧ و ٥٠ من سورة المائدة

الآيات ٥٧ و ١١٤ و ١٥٢ من سورة الانعام

الآية ٢٩ من سورة الاعراف

الآيات ٧٦ و ٩٠ و ٩٥ من سورة النحل

الآية ٧٨ من سورة الانبياء

٣٢ من سورة النمل

الآيتان ٢ و ٣٦ من سورة الاحزاب

الآيتان ٢٢ و ٢٦ من سورة ص

الآيتان ٧٠ و ٧٦ من سورة الزمر

الآيات ١٠ و ١٣ و ١٥ و ١٧ من سورة الشورى

الآيتان ٢٢ و ٢٣ من سورة محمد

الآية ٩ من سورة الحجرات

الآيتان ٧ و ٨ من سورة الرحمن

الآية ٢٥ من سورة الحديد
الآيتان ١٠ و ١١ من سورة الممتحنة

ج - الشهاداة وشروطها وشهاداة الزور :

الآيات ٤٢ و ١٤٠ و ١٤٣ و ١٤٦ و ١٤٧ و ٢٨٣

و ٢٨٤ من سورة البقرة

الآية ٢٩ من سورة آل عمران

الآية ١٣٥ من سورة النساء

الآيات ٨ و ٤٤ و ١٠٦ و ١٠٨ من سورة المائدة

الآية ١٥٢ من سورة الانعام

= ٨١ من سورة يوسف

= ٣٦ من سورة الاسراء

الآيات ٤ و ٥ و ٢١ من سورة النور

الآية ٧٢ من سورة الفرقان

= ١٩ من سورة الزخرف

= ٦ من سورة الحجرات

= ٣٣ من سورة المعارج

د - القصاصى واعظام الدماء والدمية :

الآيتان ١٧٨ و ١٧٩ من سورة البقرة

الآيات ٢٩ و ٩٢ و ٩٣ من سورة النساء

الآيات ٣٢ و ٣٣ و ٤٥ من سورة المائدة

الآية ١٥١ من سورة الانعام

= ١٢٦ من سورة النحل

= ٣٣ من سورة الاسراء

= ٦٠ من سورة الحج

= ٦٨ من سورة الفرقاق

هـ - الرزنا وعمره :

الآيات ١٥ و ١٦ و ١٩ و ٢٤ و ٢٥ من سورة النساء
الآية ٣٢ من سورة الاسراء
= ٥ من سورة المؤمنون
الآيتان ٢ و ٣ و ٢٦ و ٣٣ من سورة النور
الآية ٦٨ من سورة الفرقان

و - الخواط والمصاحفة :

الآية ١٦ من سورة النساء
الآيتان ١٦٥ و ١٦٦ من سورة الشعراء
الآية ٥٤ و ٥٥ من سورة النمل
= ٢٨ و ٢٩ من سورة العنكبوت

ز - السرقة :

الآية ٣٨ من سورة المائدة

ح - القذف والسباب (اللعان) :

الآيات ٤ و ٦ و ٩ و ٢٣ من سورة النور

ط - التعمي وطريقة دفع الازى :

الآية ٢٠٤ من سورة البقرة
الآيات ٢ و ٨٧ و ٩٤ من سورة المائدة
الآية ١١٢ من سورة براءة
= ١٨ من سورة الانبياء
= ٧ من سورة المؤمنون
= ٦٣ من سورة النور

الآيتان ٦٨ و ٦٩ من سورة الفرقان
 الآية ٣٦ من سورة الاحزاب
 = ٧٧ من سورة يس
 = ٣٤ من سورة فصلت
 الآيتان ٤ و ٥ من سورة المجادلة
 الآية ٧ من سورة الحشر
 الآيتان ١ و ٥ من سورة الطلاق
 الآية ٢١ من سورة الملك
 الآية ١٣ من سورة القلم
 = ٣١ من سورة المعارج

٣ - ارجحات التجارية :

١ - التجارة والعقود والقروض :

الآيتان ٢٨٢ و ٢٨٣ من سورة البقرة
 الآيتان ٦ و ٢٩ من سورة النساء
 الآية ١ سورة المائدة
 = ٣٧ من سورة النور
 الآيات ٢٦ و ٢٩ و ٧٣ من سورة القصص
 الآية ١٧ من سورة العنكبوت
 الآية ٢٣ من سورة الروم
 الآيتان ٢٩ و ٣٠ من سورة فاطر
 الآية ٢٤ من سورة ص

ب - تجارة البر والبحر :

الآيات ١٦٤ و ٢٦٧ و ٢٧٥ من سورة البقرة
 الآية ١٠ من سورة الاعراف

الآيتان ٢٠ و ٢١ من سورة الحجر
الآية ١٤ من سورة النحل
الآيتان ٦٦ و ٧٠ من سورة الاسراء
الآية ٤٦ من سورة الروم
= ١٢ من سورة فاطر
= ١٢ من سورة الجاثية
= ١٥ من سورة الملك

ج - الكيل والميزان والمال المحرام :

الآية ١٨٨ من سورة البقرة
= ٧٧ من سورة آل عمران
الآيات ٢ و ٢٩ و ١٦١ من سورة النساء
= ٤٢ و ٦٣ و ٦٣ و ١٠٠ من سورة المائدة
الآية ١٥٢ من سورة الانعام
الآيتان ٨٤ و ٨٥ من سورة هود
الآية ٣٥ من سورة الاسراء
الآيتان ٧ و ٩ من سورة الرحمن
= ١ و ٣ من سورة المطففين

د - الربا وامطام :

الآيات ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٨ و ٢٧٩ من سورة البقرة
الآية ١٣٠ من سورة آل عمران
= ١٦١ من سورة النساء
= ٣٩ من سورة الروم

هـ - الامور :

الآيتان ٧٧ و ٩٤ من سورة الكهف
الآية ٢٥ من سورة القصص

و - التغلبى والحجر والرشد :

الآيتان ٥ و ٦ من سورة النساء

الآية ٣٤ من سورة الاسراء

٤ - الربحان الزراعي :

١ - المزارعة والمغارة والحرب :

الآية ٢٦٦ و ٢٦٧ من سورة البقرة

الآية ٩٥ و ٩٩ و ١٤١ من سورة الانعام

— ٥٨ من سورة الاعراف

— ٧٨ من سورة الانبياء

— ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ من سورة الواقعة

٥ - الربحان الاجتماعى :

١ - الزواج واعطامه :

(نكاح المؤمنة والمشركة واليتيمة ، والخطبة

والمعاشرة والفصل والنشوز)

الآيات ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٣٢ و ٢٣٥

من سورة البقرة

الآيات ٣ و ٤ و ١٩ الى ٢٥ و ٣٤ الى ٣٦ و ١٢٧

الى ١٢٩ من سورة النساء

الآية ٥ من سورة المائدة

الآية ٧٢ من سورة التحل

— ٦ من سورة المؤمنون

الآيات ٣٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٦٠ من سورة النور

الآية ٢٧ من سورة القصص

= ٢١ من سورة الروم

= ٤٤ من سورة ص

الآيتان ٤٩ و ٥٠ من سورة الاحزاب

الآية ١١ من سورة فاطر

الآيات ١١ و ٤٩ و ٥٠ من سورة الشورى

الآية ١ من سورة المجادلة

= ١٠ من سورة الممتحنة

= ٣٠ من سورة المعارج

ب - الطهريق واضطام :

(انواع الطلاق ونفقتة ، والخلع واحكامه)

الآيات ٢١٥ و ٢٢٦ الى ٢٢٩ و ٢٣١ الى

٢٣٣ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٤١

و ٢٨٠ من سورة البقرة

الآيتان ١٩ و ١٣٠ من سورة النساء

الآية ٢٦ من سورة الاسراء

الآيات ١ و ٢ و ٤ و ٦ و ٧ من سورة الطلاق

الآيتان ٤ و ٤٩ من سورة الاحزاب

= ١ و ٤ من سورة المجادلة

= ١٠ و ١١ من سورة الممتحنة

الآية ١ من سورة التحريم

ج - النبى :

الآيات ٤ و ٥ و ٤٠ من سورة الاحزاب

د - الرقيق والموالي والاماء :

الآية ١٧٧ من سورة البقرة

الآية ٧١ من سورة النحل

= ٣٣ من سورة النور

٥- حقوق اليتامى والمساكين وابنائه السبيل :

الآيات ٨٣ و ١٧٧ و ٢١٥ من سورة البقرة

الآيتان ٨ و ٩ من سورة النساء

الآية ٢٦ من سورة الاسراء

= ٣٨ من سورة الروم

الآيتان ١٧ و ١٩ من سورة الفجر

= ٩ و ١٠ من سورة الضحى

و- الارث والوصاية وعلمكم اموال اليتامى :

الآيات ١٨٠ و ١٨٢ و ٢٢٠ و ٢٤٠ من سورة البقرة

الآيات ٢ و ٧ و ٨ و ١٠ الى ١٣ و ١٩ و ٣٢

و ٣٣ و ١٢٧ و ١٧٦ من سورة النساء

الآية ١٥٢ من سورة الانعام

الآيتان ٧٣ و ٧٥ من سورة الانفال

الآية ١٠٦ من سورة المائدة

الآيتان ٦ و ٣٤ من سورة الاحزاب

٥- ابحاث الحقوق المتبادلة :

١- حقوق الوالدين والاقارب والمجيران وافخوان الدين :

الآيات ٢٧ و ٤٤ و ٨٣ و ١٧٧ و ٢١٥ من سورة البقرة

الآية ٩٢ من سورة آل عمران
 الايات ١ و ٨ و ٣٦ من سورة النساء
 الآية ١٥١ من سورة الانعام
 الايتان ٢١ و ٢٥ من سورة الرعد
 الآية ٩٠ من سورة النحل
 الايتان ٢٣ و ٢٦ من سورة الاسراء
 الآية ٨ من سورة العنكبوت
 = ٣٨ من سورة الروم
 الايتان ١٤ و ١٥ من سورة لقمان
 الآية ٥٨ من سورة الاحزاب
 الايتان ١٥ و ١٧ من سورة الاحقاف
 = ٢٢ و ٢٣ من سورة محمد
 الآية ٧ من سورة الماعون

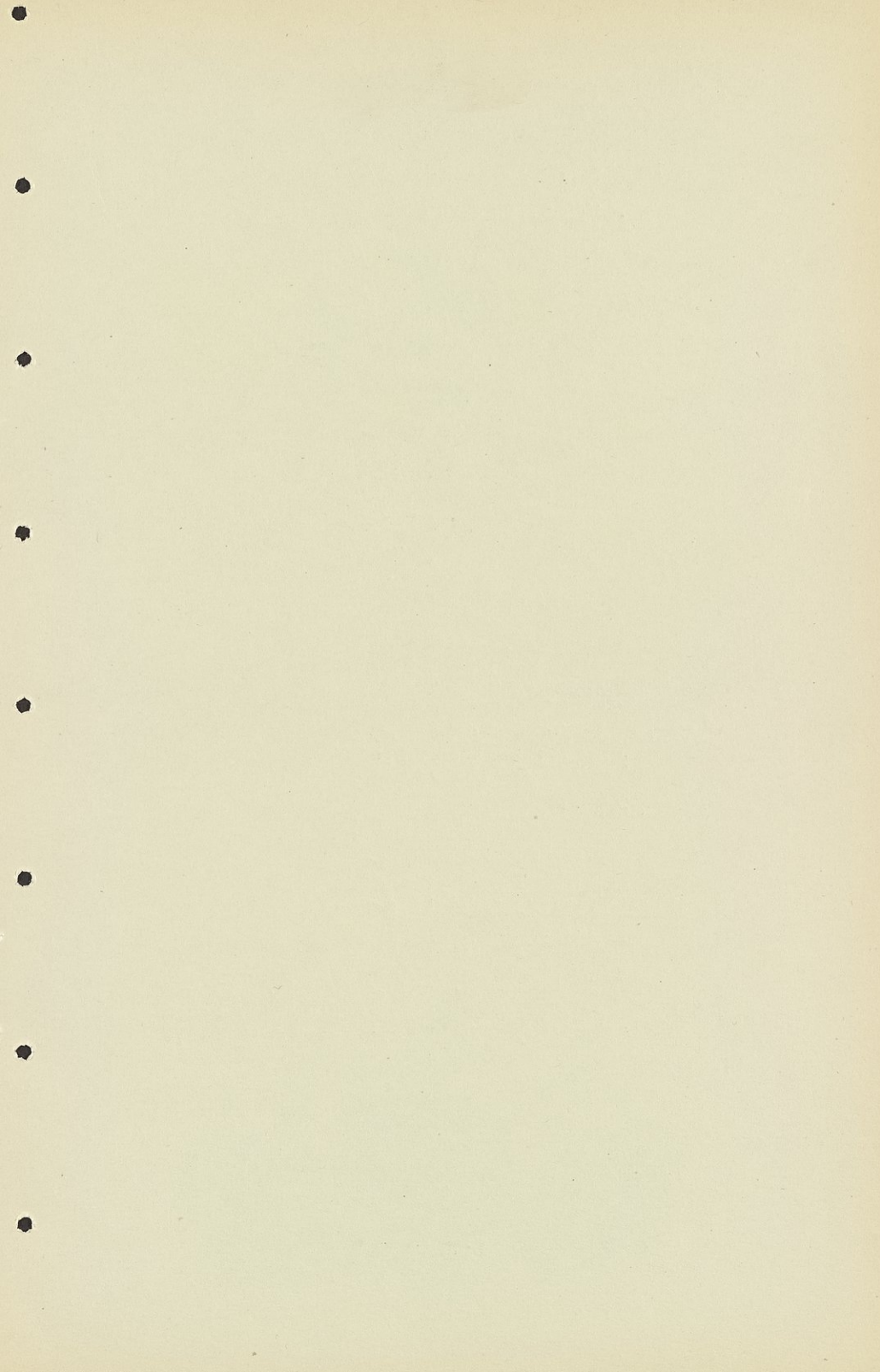
ب - حسن المعاملة واداء الامانة الاصلاحي .

الايات ٢٤٤ و ٢٨٠ من سورة البقرة
 الآية ٧٥ من سورة آل عمران
 = ٥٨ من سورة النساء
 = ١ و ٢٧ من سورة الانفال
 = ٧١ من سورة النمل
 = ٨ من سورة المؤمنون
 = ٣٢ من سورة المعارج

ج - الاستقامة والوفاء بالعهد والعفو والامسان :

الايتان ٥ و ٦ من سورة الفاتحة
 الايات ٤٠ و ١٠٠ و ١٠٩ و ١١٠ و ١٤٨ و ١٧٧
 من سورة البقرة

- الآيات ٧٦ و ٨٢ و ١٣٤ من سورة آل عمران
 = ١٤٩ من سورة النساء
 = ٧ و ١٥ من سورة المائدة
 = ١٥٢ من سورة الانعام
 = ١٩٩ من سورة الاعراف
 الايتان ٧٥ و ١١١ من سورة براءة
 الاية ٨٩ من سورة يونس
 = ١١٢ من سورة هود
 = ٢٠ من سورة الرعد
 الايتان ٣٠ و ٩٠ من سورة النحل
 الاية ٣٤ من سورة الاسراء
 الايتان ٨ و ٦١ من سورة المؤمنون
 الاية ٢٢ من سورة النور
 = ٣٢ من سورة لقمان
 الايتان ٦ و ٣٠ من سورة فصلت
 = ١٥ و ٤٠ من سورة الشورى
 الاية ٨٩ من سورة الزخرف
 = ١٣ من سورة الاحقاف
 = ٢١ من سورة الحديد
 = ١٤ من سورة التغابن
 = ٢٢ من سورة المعارج
 = ١٦ من سورة الجن
 = ٢٨ من سورة التکویر .



حكم وأحكام

ان البعض يؤمن على اساس الشعور ،
والبعض الآخر على اساس تعاليم محفوظة ، فلا
هذا الاساس يصلح ولا ذاك ، وانما يصلح
الايان القائم على العقل ، ليتمتع الانسان بالطمأنينة
والصبر وبقية بلاه هذا العصر .

تحدثنا في فصل العبقرية الخلقية عن الشروط الفردية والشروط الاجتماعية في الشهادة وقلنا بان الشرط الفردي الاول هو الصلاة وان الثاني هو الصيام . والصيام لغة هو الامتناع عن شيء أو أشياء معينة قد تكون طعاماً أو شراباً أو كلاماً أو غيرها ؛ اما اسم شهره فهو رمضان ، وهو صيغة فعْلان من الرَمَضَ ويعني شدة وقع الشمس على الرمل ^(١) .

وقد اُسمي شهر رمضان بهذا الاسم ، لأن العرب عندما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ^(٢) ، اُسموها

١ - يقال : رمض يومنا ، اي اشتد حره ؛ وفي الحديث الشريف : صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال ، والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة ، اي عندما تشعر بالحر .
٢ - كان العرب الاقدمون سواء في جنوبي الجزيرة العربية او في شماليها ، قبل الميلاد وبعده ، يستعملون للشهور أسماء شتى ، منها في الجنوب : « ذو حجتين ، ذو قمع ، ذو برم الخ . . . » ومنها في الشمال : « المؤقر ، تاجر ، خوان ، صوان ، الخ . . . » وقد دثرت هذه الاسماء واشباهها ولم تبق الا الاسماء التي شاعت عند عرب الحجاز قبيل ظهور الاسلام وهي المستعملة في التاريخ الهجري ، وهي : المحرم ، وصفر ، وربيع الاول ، وربيع الآخر الخ . . .

حكمهم وامطام

بحال الازمنة التي وقعت فيه ، فوافق هذا الشهر ايام
رمض الحر ، فسمي بذلك وهو يلي بترتيب شهور
السنة الهجرية شهر شعبان الذي غلب اسمه على تسميته
الجاهلية السابقة ، وهي شهر « عاذل » ، قبل الاسلام
بحوالي مئتي سنة . ومادة « عذل » كمادة « لدع » تفيد
معنى الحرارة في اللغة العربية ، وقد سمي عاذلاً لانه
كان يأتي على الدوام بعد الربيع ، في أوائل الصيف . وقد
قيل أن سبب طغيان اسم شعبان عليه هو تشعب القبائل
فيه للماء والغارة بعدسكون الاشهر الحرم التي منها شهر رجب
السابق لشهر شعبان ، وقيل أيضاً أن السبب في ذلك
هو تشعب أعواد النبات فيه . ولكن مهما كان السبب ،
فانه من المؤكد أن شعبان كان شهراً قائظاً يتبعه شهر
أشد قيظاً منه هو شهر رمضان .

اما أن تكون هذه الشهور قد أصبحت تقع في غير
الفصول التي تدل عليها أسماؤها ، فرد ذلك اهمال ما كان

يتبعه عرب الجاهلية في حسابها ، إذ كانوا يضيفون تسعة شهور الى كل خمسة وعشرين سنة ، لتعود الشهور إلى مواعيدها من الفصول بعد أن تكون قد تداخلت فيها بعض الشيء ^(١) .

والصيام عبادة معروفة منذ القديم ، أوصى وعمل بها عدد من الانبياء والرسل ^(٢) وعلى رأسهم نوح عليه السلام إذ صام شكراً لله في اليوم العاشر من شهر محرم ، وهو اليوم الذي خرج به ومن معه من الفلك بعد أن مكثوا فيه مئة وثمانين يوماً كاملة ، منها خمسة أشهر على الماء ^(٣)

١ - كان العرب يعتمدون اول الامر على احبار اليهود في هذه الحسابات ، ثم تولاهما بنو مالك بن كنانة وتصرفوا بها حسب اهوائهم ومقتضيات ظروفهم من تأخير وتقديم ، وفي هذا يقول عمرو بن قيس :

السنا الناسئين الى معد شهور الحل فجعلها حراما

وهو قول خاطيء في معرض التفاخر ، لانه كان يقصد المكس ، وان قومه كانوا يؤخرون الاشهر الحرم تطويلا لايام القتال . وقد ظل الامر كذلك الى ان حرم الاسلام النسيء تحريماً قاطعاً .

٢ - اشارة الى الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا ، كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » . « سورة البقرة ١٨٣ »

٣ - لقد كان ركوبهم فيها في اليوم العاشر من رجب .

صيامكم وأعطاكم

وشهر واحد على جبل الجودي ^(١) حيث استقرت بعد طول المطاف ^(٢) .

وكان سيدنا ابراهيم يصوم من كل شهر عشرة ،
ويصوم داوود عليه السلام منه نصفه ، يمك يوماً ويفطر
يوماً . وفي هذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : « صام
داوود نصف الدهر وصام ابراهيم ثلثه أيام من كل
شهر ، صام الدهر وأفطر الدهر » ^(٣) اما النبي موسى
عليه السلام ، فقد كان يصوم من السنة شهراً واحداً ،
استكثرته امته من بعد ، فاكتفت بيوم واحد هو يوم
انقازها من فرعون وجنوده ، تصومه شكراً لله على منته ^(٤) .

١ - جبل يقع بالقرب من بحيرة وان في جنوب غربي البلاد التركية .

٢ - الرواية لقتادة .

٣ - عن عبد الله بن عمر .

٤ - هو ايضاً يوم عاشوراء .

اما صيام رمضان ^(١) ، فامر يتحدث عنه الناس منذ ان فرضه الله على المسلمين . وقد تنافس الكتاب في اظهار محاسنه ، ولا يزالون ، وتبارى الحكماء والاطباء في حكمة مشروعاته وبحث فوائده ، ولا يزالون ، ولكن مجمل ما قالوه وما كتبوه لا يعدو أن يكون تكراراً لما كان قد سبقهم اليه غيرهم ، مع بعض التفاوت في العرض والاسلوب ^(٢) .

لقد قالوا في ما قالوا بأن الصيام قد فرض لتحرير الانسان من ربة عبودية عاداته ، كأن ضرورة تغذية الجسد

١ - لقد ورد ذكر الصيام في سبع ايات من القرآن الكريم هي :

آ - فرض الصيام وعدهته :

الآيات ١٨٣ و ١٨٥ من سورة البقرة

ب - شروط الصيام وقضاؤه وكفارته :

الآيات ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٧ من سورة البقرة

ج - ثواب الصيام :

الآية ١١٢ من سورة براءة

د - ليلة القدر :

الآية ٤ و ٦ من سورة الدخان

الآية ٢ و ٥ من سورة القدر

٢ - حججهم في ذلك القول السائر : لو لم يكرر القول لنفذ

صكهم واعظام

عادة ضارة ؛ وقالوا بان الغرض منه احساس الغني بالجوع ليرقّ للفقير فيحسن اليه ، كأن فضيلة الاحسان مقرونة بالاحساس بالجوع تأتي مع رمضان وتذهب معه ثم يهلك الفقير جوعاً بعده ، او كأن أشد ما يضير الصائم هو رغبته في الطعام لا حاجته الملحة الى الماء الموفور بالمجان للغني وللفقير على السواء ؛ وقالوا ايضاً بانه عامل قوي من العوامل المنقية للجسم من سموم الاغذية ، كأن الجسم مستودع للسموم ، يكفيه لاستفراغ كل ما تراكم فيه طيلة ثلاثمائة وثلاثين يوماً بلياليها ، العزوف عن وجبة طعام الظهر لفترة شهر واحد فقط ؛ وقالوا بانه تربية للإرادة وتهذيب للنفس وتصفية للروح ورياضة للصبر والعزيمة ، وفي هذا ايضاً لم يصيبوا إلا طرفاً واحداً من الحقيقة .

في القرآن الكريم أن الصيام قد فرض على المسلمين

لعلهم يتقون ^(١) ، وفي الحديث الشريف : « كم من صائم ليس له من صومه إلاّ الجوع والعطش » ^(٢) ، وفيه أيضاً : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » ^(٣) وعن مجيبة الباهلية عن ابيها أو عمها أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تغيرت أحواله بعد أن غاب عنه حولا كاملاً فقال : يا رسول الله أما تعرفني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : انا الباهليّ الذي جئتكم العام الاول ؛ قال : وما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟ قال : ما أكلت طعاماً منذ فارقتك إلاّ بليل ^(٤) فقال له : عذبت نفسك ! ثم قال : صم شهر الصبر ^(٥) ، ويوماً من كل شهر ؛ قال : زدني فان

١ - التقوى هي الايمان بالغيب ، واقامة الصلوات على اعتبارها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والاتفاق بما رزق الله . « سورة البقرة »

٢ - رواه النسائي وابن ماجه .

٣ - رواه البخاري

٤ - يقصد انه صام الحول كله .

٥ - اي شهر رمضان .

صائم وأطعم

بي قوة قال . صم يومين ؛ قال : زدني فان بي قوة ؛ قال :
صم ثلاثة أيام ؛ قال : زدني . قال : صم من الحرم واترك ،
صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك ؛ وقال
باصابعه الثلاث فضمها ثم أرسلها ^(١) ؛ ويقول الامام الشافعي
في نصحه الرقيق : « أحب للصائم الزيادة بالجود في شهر
رمضان اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢)
ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم وتشاغل كثير منهم فيه
بالمباداة عن مكاسبهم » .

فالحكمة الروحية كامنة إذا كلها في التقوى والصبر ،
لا في الجوع ولا في التخلص من السموم . ولكن ما يهم موضوع
دراستنا هو البحث في أوجه الخير الحسني للإنسان في
الصيام ، والحكمة من فرضه من فجر النهار إلى مغيب

١ - رواه أبو داود .

٢ - إشارة إلى ما قاله ابن عباس رضي الله عنه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ؛ وكان يلقاه جبريل كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » .

شمسه ^(١) ، ولعل فيما يلي من الايضاحات العلمية بعض التفسير لوجه هذا الخير الكثير والحكمة البالغة .

من المبادئ الطبيعية المعروفة أن الامراض والافات التي تنتاب الانسان مردها علّة بذاتها ، هي العنصر الفعال في الاصابة ، تمكن من ناحية من نواحي الجسم بمعونة واحد من عنصرين ، أحدهما عنصر المساعدة ، وهو الذي يتيح للجراثيم الظرف الملائم ليأخذ طريقه إلى عضو بذاته ، كالبرد والاجهاد ، والثاني عنصر الاعداد ، ويكون عادة وراثياً أو مرضياً ، وهو الذي يجعل الجسم في حالة تحسس دائم لانواع خاصة من الامراض ، كاستعداد للسيل لدى المصابين بمرض السكري .

ومن المعروف أيضاً ما للنور ^(٢) من شأن عظيم في

١ - يقتصر الصيام في بعض الاديان على الامتناع عن المأكّل الدسمة واللحوم وتكون مدته من منتصف الليل حتى منتصف النهار .

٢ - يفهم بالنور هنا الاشعة الضوئية بما فيها الاشعة تحت الحمراء والاشعة فوق البنفسجية .

صكم وامطام

تذشيط وظائف البدن جميعاً وما له من تأثير في حبس
بعض الامراض والحيولة دون ظهورها في وضح النهار
كالربو والنقرس . فالنور يزيد في عدد الكريات الحمراء
في الدم ، ويرفع كمية حمض الكربون المنطلقة بالتنفس
بمقدار الربع ، دلالة على ازدياد الاحتراقات الداخلية ،
وينشط الاعضاء المفرغة للاختبارات المؤذية الناتجة عن
سوء تمثل الاغذية ، وهي الجلد والرئين والكليتين ولما
كان للمجموعة العضوية وظيفتان ، واحدة للاستهلاك واخرى
للادخار ، فان النور والجهد يحثان هذه المجموعة على زيادة
عملها الاستهلاكي ليقوم البدن بصرف ما لم يكن بحاجة
اليه ، والذي تراكم نتيجة عدم احتراق الفائض الغذائي
عن المقدار الحروري اللازم لحياة الجسم وانقلب تشجمات
نسيجية تغشى أعضاء حساسة ، فتضعف حركتها وتحد
من نشاطها وتصبح آفة خطيرة على السكان الحي كله .
اما العلة في الامتناع عن الماء اثناء الصيام ، فمرتبطة

دروب النيرفانا

تمام الارتباط بالنسج الدهنية التي لها خاصة ضبط الماء تكسب به بعض المناعة ضد الاحتراق . لذا فاننا نرى بأن قواعد المعالجة في البدانة تقوم كلها على أساس الاقلال من السوائل جمعاء ، لان الاقتصار على القليل منه ، عدا عن أنه يسهل عملية الاحتراق ، يمنع ازدياد الفليكوجين في الكبد .

اما السعوم ، فانها موفورة في الاجهزة الهضمية وغيرها ولكنها لا تنقص إلاّ باتباع نظام خاص في التغذية يبدأ من الصيام المطلق الى الامتناع عن أنواع معينة من الاطعمة ، ولا علاقة لها بالصيام بشكله المفروض .

فالحلال يتيّن في الحق والحرام يتيّن فيه ، ولكن ليعلمنّ الناس ان أحب الدين إلى الله مداوم صاحبه عليه^(١) وان الله أراد بهم اليسر ولم يرد بهم العسر وان عليهم

١ - حديث شريف ، عن عائشة رضي الله عنها .

مسلم وامطام

بما يطيقون^(١) فان لربهم عليهم حقاً ولا تقسمهم عليهم حقاً ولا تهلهم عليهم حقاً وان عليهم أن يؤتوا كل ذي حق حقه^(٢) ، وأن القرآن الكريم قد فرض على الذين يطيقونه او من كان منهم مريضاً أو على مسفر احكاماً دينية ، فمن اجتهد في اكثر مما ورد فقد هلك ، وما يفسد الدين كالجاهلين المنتظمين^(٣) .

وفي الاسلام أيضاً أن الزكاة حق معلوم للسائل والمحروم في مال من ملك ما يفيض عن النصاب^(٤) ، وأن

١ - عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة ، فقال من هذه ؟ قالت هذه فلانة تذكر في صلاتها . قال : مه ! عليكم بما تطيقون فوالله لا يل الله حتى تملوا . وقد فسر النووي بأن الله لا يقطع ثوابه عنكم حتى تملوا ، فينبغي لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم .

٢ - رواه البخاري عن ابي جحيفة .

٣ - عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : هلك المنتظمون ! واعادها ثلاث ، رواه مسلم .

٤ - نصاب الذهب عشرون مثقالاً ويساوي ما يقارب المئة ليرة سورية او خمسة عشر جنيهاً مصرياً ونصاب الفضة مئتا درهم او ما يساوي خمسين ليرة سورية او سبعة جنيهات ونصف . اما الانعام والزرع والشجر والشمع وعروض التجارة ، فيدفع زكاتها بالمقادير والشروط المبينة في كتب التشريع الديني ؛ وهي في كل الاحوال سنوية ، تحق بانتقضاء الحول الكامل .

حج البيت فرض عين على من استطاع اليه سبيلاً .

اما الزكاة فان الناحية العملية فيه تلخّص بجمع المقدار المنصوص عنه ^(١) وتسليمه إلى بيت مال المسلمين ، ثم توزيعه على الفقراء والمعوزين كل بحسب حاجته .

وقد يبدو هذا الامر في مظهره على أنه عمل انساني يقصد منه توفير بعض الرفاه النسبي لعدد من المحتاجين من المواطنين ، امّا واقعه ونتأجه فانها تلخص بما رواه يحيى بن سعد حيث قال :

— بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية ، فاقترضتها ثم طلبت فقراء نعطيها لهم ، فلم نجد بها فقيراً ولم نجد من يأخذها منا ؛ فقد اغنى عمر بن عبد العزيز الناس ! فاشترت بها رقاباً فأعتقتهم ...

لقد جهد المفكرون وخبراء الاقتصاد والعلوم الاجتماعية

١ - المقدار المنصوص عنه عن فائض النصاب هو اثنان ونصف بالمئة .

حكم واضطام

في العالم منذ زمن طويل لايجاد نظام مالي واجتماعي يكفل للناس قدراً نسبياً من الحياة اللينة الميسورة . فمنهم من ساوى في نظامه بين الافراد في الطبقة ونسي أن يساوي بينهم في المال ، ومنهم من ساوى بينهم في المال ونسي أن يساوي بينهم في الطبقة ، ومنهم من تعبد لهم لاله أخرق اطلق عليه اعتباطاً اسم المصلحة العامة ، ومنهم من أطلق لهم حرية العمل بلا قيد ولا شرط ، ولكن واحداً من هؤلاء كلهم لم يستطع أن يفاخر ببلوغه ما كان ينشد او يطمع بالوصول اليه ! فلا مذهب التجاريين ^(١) ولا المذهب الحر ^(٢)

-
- ١ - وهو النظام الذي اتبعته الدول في اتخاذها صفة التاجر والاكتثار من جمع الذهب والفضة في خزائنها عن طريق التجارة بنفسها واقامة العقوبات امام تجارة الافراد الخارجية . وقد بلغ هذا النظام اوجه في اواخر القرن السادس عشر .
 - ٢ - ظهر هذا النظام في اوربا قبيل الثورة الفرنسية ونادى به ابو الافتصاد السياسي « آدم سميث » وكان شعار القائلين به : اطلقوا حرية العمل وحرية المرور ! فاشتد ساعد الاغنياء واتسعت الشقة بينهم وبين الفقراء واصبحت الحال من السوء ما انذر بثورة جديدة .

دروب النيرفانا

ولا الاشتراكية ^(١) ولا الرأسمالية ^(٢) ولا الشيوعية ^(٣)
استطاعت أن توفر لابنائها ما استطاعه الاسلام من عيش
هنيء وكرامة موفورة ، لان الزكاة فيه حق للمعسر
لا منة فيه ، وفرض على الموسر لا تساهل فيه ^(٤)
يحملها الى صاحب الحق فيها طوعاً وعن طيبة خاطر ،
او تؤخذ منه قسراً عن يد وهو صاغر .

١ - وهو المذهب الذي وضع لتفادي الكارثة الناجمة عن المذهب الحر ، ويقوم
على اشراك العامل في الربح الذي يجنيه رب العمل . وقد وضع اسسه الالماني
كارل ماركس ، مستعيناً بالمذهب السياسي المعروف بالماوية التاريخية .

٢ - وهو نظام يقوم على تشغيل رؤوس الاموال وتوسيع الانتاج لزيادة
انواع السلع المستهلكة وخلق صناعات جديدة تتيح العمل لأكبر عدد ممكن من الناس .

٣ - مذهب اشتراكي يحرم الملكية الخاصة في جميع صورها ويتبع في التوزيع
قاعدة يراها مثالية وهي : لكل على حسب حاجته ومن كل حسب مقدراته .

٤ - لما اختار الله رسوله الى جواره وحاول بعض المسلمين التحرر من دفع
الزكاة ، قاتلهم ابو بكر بأحد عشر لواء كتب له فيها النصر عليهم ؛ وقد
روي عنه لما نصحه عمر بان يدعهم وشأنهم انه قال له : اجبار في
الجاهلية وخوار في الاسلام يا عمر ؟ انه قد انقطع الوحي وتم الدين .
او ينقص واثا حى ؟ والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان
الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً (عترة) كانوا يؤدونها لرسول
الله لقاتلتهم على منعها .

مكتم واعظام

فموضوع الزكاة هو عين موضوع نظام الاسلام
الاشتراكي الذي سما على كل النظم الاشتراكية الحديثة
بمطابقته لواقع الحياة مطابقة لا أثر فيها لا للنظريات
التجريبية ولا للآراء المتطرفة العقيمة . انه من الصحيح
ان الاشتراكية الاسلامية ابقت على الطبقة بين الناس
ولكنها حصرتها بالعلم والفضل والمعرفة ، واسقطت ميزة
المال والجاه والحسب ^(١) من كل اعتبار ؛ وصحيح ايضاً

١ - في الحديث الشريف ان المسلمين سواسية كاسنان المشط وان لا فضل لعربي
على اعجمي الا بالتقوى . ولما عبر أبو ذر الغفاري بلالا الحبشي بامه الاعجمية ،
وشكاه بادل الى الرسول الاعظم ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا اباذر ،
ارفع رأسك فانظر ، ثم اعلم بانك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود ،
إلا ان تفضله بعمل . « وفي الفصول الماثورة ان عمرو بن العاص اجري خيولاً
بمصر ، فسبقت الخيل فرس مصري قال لما لاحته له : فرسي ورب الكعبة !
فضربه محمد بن عمرو بن العاص بالسوط وقال : خذها وانا ابن الاكرمين ! .
فشكا امره الى عمر بن الخطاب : فارسل يطلب محمد وابيه . ولما مثلاً ،
امر المصري ان يضرب بدورته الابن ثم الاب ، فضرب الابن وامتنع عن
ضرب الأب ، فقال عمر : والله ما ضربك ابنه الا بفضل سلطانه ، ثم
التفت الى عمرو بن العاص وقال له : ايا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم
امهاتهم احراراً ؟

انها أطلقت للفرد حرية التصرف برأس ماله ، ولكن
حذرت من تجميده ^(١) ورغبت في الانفاق منه ^(٢) وجعلت
فيه نصيباً ضئيلاً لمن لم يؤت مثل ما أوتي من خير ؛ اما
الاجر فقد جعلته عادلاً صرّحاً بمقدار السعي .

وفي الاشتراكية الاسلامية نواح أخرى تتعلق بالميراث
والضرائب وتوزيع الاموال وحصة المسنين والمرضى
والمواليد الجدد ، مما لسا في صدره ولكن مما يجدر
ذكره والتأكيد عليه لاستكمال النظرة الاجمالية على
موضوع هذه الاشتراكية .

اما فلسفة الحج الى البيت الحرام في موعده من كل
عام ، فانها عميقة الاغوار متشعبة الجوانب ، فيها الغاية

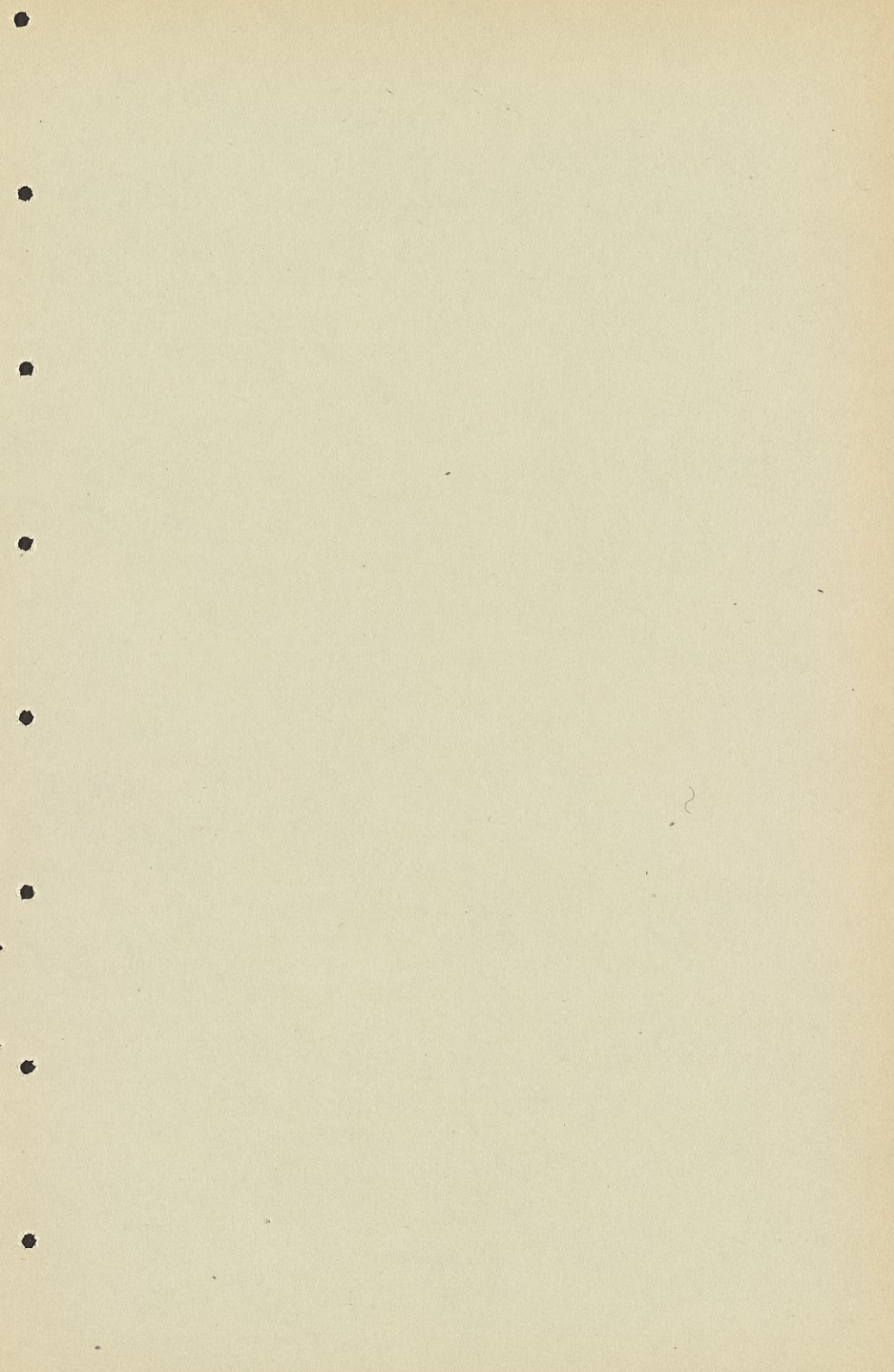
١ - في القرآن الكريم : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم فنفقوا ما كنتم تكنزون . »

٢ - في القرآن الكريم : « لن تنالوا البر حق تنفقوا مما تحبون . » وفيه
ايضاً : « واقترضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم . »

هكم وامكام

الدينية^(١) والاهداف السياسية^(٢) والاغراض التجارية^(٣)
والعلمية^(٤) والاجتماعية^(٥) ، وفيها أولاً وفوق كل
ذلك زيارة السابقين المقربين في الوادي غير ذي الزرع
الذي أسكن فيه ذريته سيدنا ابراهيم .

-
- ١ - للبحث والتشاور في امور الدين والدنيا لاتباع الافضل سنة وقياساً واجماً وراياً .
 - ٢ - بصفته مؤتمر سنوي تدرس فيه القضايا السياسية وتوضع فيه المقررات الشورية عملاً بالقول الكريم : « وامرهم شورى بينهم . »
 - ٣ - موسم الحج موسم التبادل التجاري بين شتى الامم ومعرض شامل لمنتجاتها .
 - ٤ - يتيح الحج فرصة التقاء التيارات الفكرية المختلفة الصادرة عن شتى شعوب وامصار العالم الاسلامي .
 - ٥ - على اعتبار ان التقارب يؤدي الى التعارف والتوادر واجداد صلات روحية جديدة .



الفصل الثامن

استطادات

يا الهي ؛ اذا كان ما انشره على الناس
لا يغير تعاليمك ، فان احداً في الارض
لن يقدر على طمسه او يجرأ على تجريحه .

كونفوشيوس

في العهد القديم ^(١) ان النبي موسى عليه السلام تسلم من ربه لوحات حجرية فيها تعداد اللوصايا الالهية التي ينبغي للشعب المختار ان يتقيد بها ليصبح جديراً بهذه التسمية الفريدة الكريمة . اما مضمون تلك الوصايا ، فوا امر عقيدية ^(٢) ونواه اجتماعية لاشك أن في اجتنابها الجماعي ضماناً لحماية الفرد الشخصية وراحته الفكرية والجسدية . والتاريخ ، حتى في أبعد أزمنته المعروفة ، زاخر بامثلة كثيرة عن هذه النواهي التي لا يفتأ يعيدها ويكررها المصلحون من كل العصور لقناعتهم بضرورة الطوعية

١ - التوراة

٢ - الوصايا العشر كما وردت في الاصحاح العشرين من سفر التكوين تتلخص في الاوامر التالية : ا - لاتخذ مع الله اله اخر ؛ ب - لاتصنع لك تمثالا ولا صورة تسجد لها ؛ ج - لاتنطق باسم الله بالباطل ؛ د - اكرم اباك وامك ؛ هـ - لا تقتل ؛ و - لاتزن ؛ ز - لاتسرق ؛ ح - لاتشهد شهادة زور ؛ ط - لاتشته بيت احد ؛ ط - لاتشته امرأة احد ولا شيئاً مما يملكه .

المطلقة في الحياة المشتركة . فما يستوقف النظر فيها ليس اتفاق هؤلاء مع الائمة والحكام على التبشير بمثل هذه الوصايا في شتى الامصار واليهود ، بل هو تأييد الواقع العجيب للتنبؤات الصادرة عن بعض الانبياء في ذكر النتائج الدنيوية العاجلة التي تصيب صاحب العلاقة بالذات ، او تقع على فرد أو أكثر من ذريته أثناء حياته او بعد مماته ، لعمل صالح أو طالح بعينه ، كان قد قام به وهو مدرك لفعاله .

فقد قال موسى عليه السلام في معرض نهيه عن القتل العمد بان « من يقتل نفساً وهو متعمد لا يموت إلاّ قتلاً » وفي الانجيل أن المسيح عيسى عليه السلام قال في بحثه عن الذنوب والآثام والعواقب الوخيمة المترتبة على مقتريها بأن : « الآباء يأكلون الحصرم والآبناء يضرسون » وفي القرآن الكريم ، أن الله سبحانه وتعالى حفظ لتييمين في المدينة كنزاً لهما ، لصالح جدّهما السابع لأُمهما . وعن النبي العربي صلى الله عليه وسلم انه قال : بشّر

القاتل بالقتل ولو بعد حين ، وبشّر الزاني بالفقر ولو بعد حين .

وغني عن القول بان صراحة التشريعات الاسلامية وغيرها في ذكر الجرائم وعقوباتها ، تنفي ان تكون العناية من هذه الآيات والاحاديث والاقوال الكريمة هي البحث في حالات جرمية كان الشرع أو القانون قد اقتصّ في حينه من أصحابها . فالمقصود منها هنا هو تلك الجرائم التي يتوهم مقترفوها أنهم في منجاة من عقوبتها لجهل الناس بها أو عدم اطلاع أولي الأمر عليها ، أو عجز السلطات عن تنفيذ أحكام الشرع أو القضاء فيها لعدم توفر أدلة اقترافها أو لمناعة أصحابها .

وتدل الأمثلة السائرة على السنة الناس والقصاص والامتشهادات المتداولة بينهم^(٢) ، على وفرة الدلائل والحوادث المؤيدة لحالات انتقال العواقب من السلف

١ - كتعليل فجيعه أحدهم بولده نتيجة تعد سابق على مال يتيم ، أو تفسير ضياع امواله بسبب كسب حرام كان جناه ابوه الخ ...

الى الخلف مع أن أبسط قواعد المنطق تقضي بأن لاتزر
وازره وزر أخرى ، وأن لا تتعدى المسؤولية والجزاء
شخص الفاعل بالذات ، وان لا يتحمل الاولاد نتيجة ما
اكل الآباء من حصرم أو غيره .

ولكن المنطق والقانون بمحد ذاتهما وثيقى العلاقة بالعرف
والعادة والبيئة ، ولا يجوز بحال أن نقيم مقارنة مقبولة
بين مفاهيمها في العوالم الحسية ومفاهيمها في عوالم ما وراء
العقل والمادة حيث تختلف المقاييس والأوزان والاحكام ،
وحيث يتلاشى الفرد في مجموعة اخلافه واسلافه وكتلة
سلالاته .

فالعالة إذاً لا تكمن في مجالات ما ألفناه من علوم وفنون
وتعاريف ، بل في ميادين غريبة رائعة ، ميادين الميتافيزية
العامة الحديثة ذات المسالك الخفية التي لن يهتدي اليها
الإنسان من أفسح في نفسه مجالاً لتقبل نظرياتها بالقبول
الحسن وتحرر من ربة المألوف من التعاريف والآراء

المسبقة المقطوعة ، ثم تتبع جاداً سلسلة الاستنتاجات العتيدة .
لقد تحدثنا في باب الوراثة عما أثبتته العلم . من أن
الخلية الحية تستولد من ذاتها خلية حية مماثلة لها ، وان
خلايا البويضة والنطفة المنوية هي جزء من خلايا الجسد
الأصلي ، وان الكائن الحي الذي نشأ نتيجة لتحداد هذه
الخلايا وتوالدها وتحولها يعتبر بلا مصراة امتداد لذات ذلك
الجسد الحي الأصلي .

فاذا سلمنا بهذه الوحدة في سلاطنا السابقة واللاحقة ،
وهو ما يجب أن نسلّم به بحكم العلم والواقع ، رأينا
أن أحكامنا على ما كنا نتوهم انه المنطق الصحيح قد تبدلت
فجأة ، وزال تعجبنا من نتائج حسنة أو سيئة يجنيها
الخلف عن السلف ، وتفتحت أمامنا مغاليق أبواب لم نكن
نحلم حتى بوجودها ^(١) .

يتضح مما سبق أن مطابقتنا الفيزيولوجية مع من

١ - راجع الاصحاح العشرين من سفر الخروج في التوراة للاطلاع على الآراء الموسوية .

سبقنا ومن يلحقنا من سلاطنا امر واقع لا يشوبه الشك
وان وحدتنا الروحية معهم بالتالي أكيدة ، وان خلايا
المخ التي يبعث تفاعلها الفيزيا - كيميائي بالتيارات الكهربائية
المصاحبة لكل فكرة طارئة هي الخلايا الوحيدة التي لا
تتبدل في الجسم البشري أثناء الحياة . فاذا كان الامر
كذلك ، فالتيار المنبعث من المخ يكون قريب الشبه
الى حد بعيد في قوته وتواتره بقوة وتواتر التيارات المنبعثة
من مخ السلف . وكلما قربت الصلة في النسب ، قرب
الشبه في التيار الصادر حتى ليكاد يكون واحداً في الام
وابنها او الاب وولده .

ومن ناحية أخرى يجب أن لا يسهرى عن بالنابان
آراءنا وأعمالنا وتصرفاتنا تتأثر بانفا بحالة العناصر المولدة
للتفاعلات الفيزيا - كيميائية ، وان حالة هذه العناصر
وثيقة الارتباط بما تثبته فيها خلايا الجزء المتضمن العقل

الباطن في المنع^(١) وبما ينطلق عن الغير من تيارات موازية
او معاكسة .

وسنورد على سبيل الايضاح عدة أمثلة عن اكثر الحالات
شيوعاً في مجتمعاتنا لتحليلها تحليلًا استقناتياً على ضوء المعلومات
التي سبق اثباتها علمياً .

فاذا افترضنا مثلاً حالة غضب أحد الوالدين أو كلاهما بسبب
من الاسباب على الولد ، فان ما نشاهده لدى الولد نتيجة
هذا الوضع ، هو اضطراب في تفكيره وخطأ في محاكمته
يؤديان به إلى فقدان ثقته بنفسه ، فتفشل بطبيعة الحال
محاولاته فتمتدد آماله وتلاشى مثله وتبديل تبعاً لذلك
نفسيته ويمسي صورة عن شخصية مستقلة يأسسة معروفة
بشخصية المغضوب .

اما تفسير ما وقع فهو ان التراث الديني الذي حملته

١ - يؤكد الدكتور فورونوف وجود منطقة في المنع تتضمن العقل الباطن
وتؤثر تأثيراً مباشراً على العقل الواعي ، وتقع في الجزء المتوسط من المنع .

الأجيال المتعاقبة قد تغفل في العقل الباطن واصبح شرطاً من شروط سلامته . ولما كانت الحياة لرضاء الوالدين تدخل في صلب التعاليم الدينية ، فان اي سلوك يصدر عن الولد وبؤدي إلى فقدان هذا الرضاء ، يجعل خلاً في توازن حجيرات العقل الباطن ، يظهر أثره للتوفي العقل الواعي ، بالاضافة إلى أن القيارات الكهربائية العنيفة المنبعثة عن الوالدين الغاضبين المتحفزين تعيق العمل الفيزيا - كيميائي لدى الولد فينجم عن ذلك ما ذكرناه من بلبلة واضطراب .

وقد نخطر لأحدنا أن يتساءل عما إذا كان من الممكن ان يحدث عين هذا التفاعل باتجاه عكسي في حالة غضب الولد على أحد الوالدين او كلاهما لسبب يعتبره كثير الخطورة . ان الجواب على ذلك ايجابي على التحقيق لو ان ذلك التراث الديني كان يتضمن عكس ما كان يتضمنه وكان النص يوجب الحرمة على الوالدين بدلاً من الولد .

ولكن الحكمة البالغة من فرض هذه الحرمة على الولد هي الاستجابة الرائعة لحقيقة ما يتناه هذا الولد لنفسه وما يرجوه من اولاده إذا بلغ به العمر الى ما بلغ به والديه . ولنورد الآن مثلاً آخر من سلسلة الأمثلة المألوفة في السلالة الواحدة ، كأن يقوم أحد الآباء والأجداد بأعمال إرادية منافية للشرع والقانون وان يكون قد افلت لعله ما من القصاص ، ثم أن يطرأ في مستقبل الأيام على الابن أو السبط أو الحفيد ما يمكن ان يفسر بأنه عقاب لما كان اقدم عليه السلف ^(١) .

ومررد هذا الواقع يعود أيضاً إلى ما اورثه العقل الباطن الى الخلف من اضطراب في عمل خلاياه بنتيجة إقدام السلف على ما يعلم بأنه ممنوع أو حرام . امّا إذا كانت فعلته قد صدرت عنه بصورة عفوية او عن نية حسنة ولكن ترتب عليها نتائج سيئة انتقلت إلى ذرية المجنى عليه ،

١ - اشارة الى قول المسيح عليه السلام : الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون .

فإن التيارات المنبعثة عن الذرية المكلومة باتجاه اخلاف
مسبب الاساءة تفعل عين الفعل في خلاياهم العقلية وتبيل
عملها الفيزيا - كيميائي حتى يقوموا بهذا الذي يعتبره الناس
تكفيراً لما صدر عن السلف .

اما الحالات الفيزيولوجية التي تظهر في الخلف والناجحة
عن ممارسة السلف لبعض المحرمات كالإدمان على الخمر
او المخدرات أو الاسراف في الملذات ، فانها مرضية محضة
ولا علاقة لها بموضوع هذه الدراسة .

ومن الأمثلة المعروفة التي لا شك في صحتها مثل القاتل
الذي يقضي قتلاً اذا ما كان قد أقدم على فعلته وهو مصمم
لها ومصر عليها . فالقتل ، وهو اكبر الكبائر على الإطلاق ،
يكشف عن مرض في النفس ناثي عن اضطراب في الغدد الصم^(١)

١ - يقول الاستاذ « ا. كريس موريسون » رئيس اكاديمية العلوم بنيويورك ،
في كتابه : « ان الانسان لا يقوم وحده » اثناء بحثه في الغدد الصم : « ومن
المتفق عليه انه اذا اختل توازن هذه الافرازات المعقدة تعقيداً مدهشاً ، فانها
تحدث اختلالاً ذهنياً وجسدياً بالغ الخطر . ولو عمت هذه الكارثة لاندثرت
المدنية وانحطت البشرية الى حالة الحيوانات ، هذا اذا بقيت على قيد الحياة » .

دروب النيرفانا

التي تمتد خلايا المخ بالعناصر اللازمة لتأمين تفاعلها الطبيعي ،
فاذا ما وقع الاضطراب فيها ، تبدلت نسب عناصرها ،
فاختل عمل تلك الخلايا وتحوّر تفاعلها ، فجاء المظهر الحسي
للفكرة خارجاً عن الاطار الطبيعي للحياة الاجتماعية . ولما
كان من البديهي أن تظل هذه الحالة المرضية قائمة اذا لم
يقيّض لها العلاج الناجع للحد من تطورها ومنع تفاقمها ^(١) ،
وكان من الطبيعي ايضاً ان يجذب شبيه الشيء اليه ، فان
تصرفات ذلك المريض في البيئة الموبوءة بالخطرة التي
اختارها لنفسه ستتكفل بايراده موارد هلاكه على ايدي
من كانوا على مشاكته .

١ - مصداقاً للقول الكريم في القرآن العظيم : ولكم في القصص حياة يا أولي
الالباب .

فصل التاسع

في القصاص حياة

ليس الفاضل من يقول الناس عنه كذلك ،
انما الفاضل حقاً هو الذي يملك الجرأة على
ان يكشف عن نفسه لنفسه ولكل من له
صلة به ، وهو واع لقوله ومدرك لحقيقته .

من آيات كتاب الفيدا

لقد ثبت علمياً مما ورد في : « تاريخ الظلام » ان
المخلوقات البشرية رهن نشاط غدها الصم وان ما ندعوه
« الطبيعة » التي تملي على انسان ما تصرفاته الشخصية ،
هي المرأة الصادقة التي تعكس حالة هذه الغدة او بعبارة
اخرى هي النتيجة الحتمية لهذه الحالة .

فالمجرم العادي الذي دلَّ التشريح الطبي على ضخامة
في حجم غدته الدرقية ، يصبح مجرمًا ضارياً اذا رافق
هذه الضخامة ازدياد في مفرز الخصيتين . اما اذا اجتث
جزء من هذه الغدة وانتظم تعاون مفرزها مع الغدة
النخامية ، غلبت صفات التعقل والرزانة وتلاشت الرغبة
في الاجرام ؛ ولكن اذا استؤصلت الغدة بكاملها ، فيه
أو في غيره ، تلثم الكلام وتوقف النمو وحلت البلاءة
محل كل تفكير .

في النصوص حياة

ونحن ، عندما نطلق صفة الشجاعة أو الجبن على فرد
تتسم أعماله بطابع البسالة أو الخوف ، نكاد نفي أن
خصيئته نشيطان في افرازها او كسولتان فيه ؛ واذا
ما قلنا عن فلان انه متزن وعادل ، فان قولنا شهادة اتساق
تعاون غدته النخامية مع غدته الدرقية ؛ وعندما نقر لفلان
بالذكاء والقدرة على الحفظ والاستظهار ، فكأننا نقر لغدته
الصنوبرية بالفوق في الوزن والحجم المعتادين لدى بقية الناس .
ان الملكات على اختلافها موزعة بين الغدد الصم وبين
حجيرات المخ ، كما فصلنا ذلك في باب « نحن وعقولنا » ،
وليس لأي إنسان حيلة في إيجادها أو إزالتها . أما ما
ما يستطيعه المرء في هذا المضمار ، إرادياً أو لا إرادياً ،
فهو استغلال لقدرتها او اهمال يؤدي الى خمول نشاطها .
وقد طرق جماعة المعزاة هذا الموضوع من الوجهة
الميتافيزية ، لانعدام العناصر الأساسية والمعطيات العلمية
الفيزيولوجية آنذاك ، وتكلموا في الارادة الجزئية ، وأصابوا

دروب النيرفانا

في أبحاثهم ، نتيجة تفكيرهم وتأملاتهم ، قسطاً وافرًا من الحقيقة المؤكدة ، غير أن الواقع العلمي الذي يؤيد كل التأييد العقيدة الدينية القائلة بانعدام صفة الاختيار لدى الإنسان ، يتوقف عند حده المادي على أبواب الفلسفة الدينية والاجتماعية ليلقي على عاتقها مهمة تعليل الحكمة من وجود أحكام القصاص الشرعية والعقوبات الأخروية والتشريعات القضائية والجزائية^(١) طالما ان مسؤولية الفرد ساقطة حكمًا بعرفه وبعرف الدين معًا^(٢) .

ان كل تصرف من تصرفات الكائن الحي يتميز بصفتين : صفة شكلية وصفة نوعية . فالصفة الشكلية هي التسمية التي يطلقها المجتمع على فعل بذاته بالنسبة لنتائج كالسرقة والكذب والزنى وغيرها . اما الصفة النوعية ، فهي زمرة الافعال المتماثلة او المتسلسلة^(٣) التي يكون مبعثها حال

١ - ولو انها اصبحت تقول مؤخرًا بمرض الجرم .

٢ - على اعتبار ان الانسان مخلوق مسير .

٣ - اي التي تستدعي الواحدة منها الاخرى كالامعان في الاجرام خوف العقاب او الاصرار على الكذب لنفي جرم مقتوف .

في الفصاح مياة

مرضية فيزيولوجية في غدة او اكثر من جسم ذلك الكائن
فالفرد الذي لم يقيّض له اختيار غده اثناء تكوينه
ولا يملك القدرة على تبديل حجمها او تنسيق مفرزها في
الاحوال العادية ، لا يمكن أن يُعتبر مسؤولاً عن حالها
وباتالي عن مجمل شخصيته ، صالحة كانت أو طالحة ؛ لذا
فاننا نرى ان مبدأ عدم المسؤولية في ما يتعلق بما دعونا
الصفة النوعية امر لا يحتاج تقريره إلى جدال ولا كبير
عناء . امّا إذا تجاوزت الأمور طور الاستعداد لتنتقل
الى طور الشروع بالتنفيذ ، فان هذه المرحلة تستدعي
بالضرورة تدخل المظهر الاصلي لنوع الجنس البشري
والمعروف بالارادة .

وممارسة الارادة غير الغريزية ، هذه الارادة التي تعرّفها
الفلسفة أنها الاداة التي نستعين بها لاستشفاف ما خفي عنا
في الطبيعة وفي أنفسنا ، تستلزم بصورة حتمية حركة
جسدية هي في الواقع جزءها المادي الذي يترجمها ويفصح

عن مراميها . فاذا ما توضحت هذه الإرادة للبصر والبصيرة
على السواء واصبح من الممكن مشاهدتها وتبين نوعها
وكنهها واهدافها ، تدخلت العقيدة والاخلاق والبيئة
والحاجة والميول الشخصية لحثها أو صدها ، والزمتها منذ
تلك اللحظة مسؤولية نتائج سعيها .

والقصاص على اختلاف درجاته وأنواعه هو التعويض
الرمزي ، مادياً كان أو معنوياً ، الذي يطالب كل واحد
من هذه العوامل لقاء ما لحقه من أذى او ما أصابه من
اختلال في نظامه من جراء تعنت الفرد واصراره على
اقتراف ما لا يحل او الامتناع عما يجب ، على الرغم من
وضوح صورة إرادته في أي من الاتجاهين ، السلبى او
الإيجابى .

ويتضمن مفهوم العقوبة معنى الردع وقصد التوجيه
والتقويم لضمان عدم التكرار ضماناً قطعياً في الأحكام
الشرعية الإسلامية ، ونسبياً في بقية التشريعات الجزائية ،

في القصاص حياة

ويكون تحقّقها عند افتتات الفرد على حق الآخرين في ممارسة هذه الارادة التي يعتبر إعلانها من قبله إقراراً ضمّنيّاً بحقّهم فيها . فالتجاوز على حدودهم ، بعامهم أو في غفلة منهم ، إلّاّ ما كان برضاّهم وقبولهم ، يعرض المعتدي الى خطر نبذه والالقاء به وراء السياج الاجتماعي حيث الوحدة القسرية والعيش الزري .

ولما كان الانسان اجتماعيّاً بالفطرة ، لا يمكن ان يدرك طعماً ولا معنىً للحياة وحيداً ، فان الرهبة من القصاص لدى هؤلاء المصابين في غددهم ، ان لم يكن القصاص بذاته ، تبتز الجزء المادي أو المظهر الحسي لاراداتهم السلبية فتشل جزءها المعنوي شللاً يكون بحسب درجة الاصابة العضوية أو قسوة العقوبة ، موقّتاً أو دائماً ، فيمسون طيلة هذه الفترة في مأمن من ثورة المجتمع عليهم وشر تنقيص حياتهم .

فحالة الانسجام هذه بين أفراد الوحدة الاجتماعية ، من مصابين وغير مصابين ، والتي وفّرت للجميع شروط

الطمأنينة والحرية الشخصية ، واثاحت لهم فرصة العيش
بأقرب أشكاله الى الحياة ، يكون مبعثها في الاصل ذلك
الوازع الذي اوجده القصاص الرادع أو العقوبة الزجرية .
وفي اعتقادي أن الدراسة التحليلية والمعالجة الفلسفية
البيسيكولوجية لا تحيط وحدها بكل جوانب الحكمة المودعة
في الآية الكريمة المتعاقبة بالقصاص ^(١) ، وانه لا بد أن
يكون في المعنى شمول واطلاق يتعدى الفرد بذاته والظرف
بعينه إلى السلالات البشرية والزمن المطلق . وقد تبين
من تقصّي التطورات الحديثة لعلم الوراثة ان كثيراً من
الصفات المكتسبة التي يعتادها المرء حتى تسمي بحكم
الأصلية تنتقل بالوراثة إلى أخلافه ^(٢) ، مما لا يدع
مجالاً للشك ان صلاح السلالة ، وبالتالي حياتها ، مرهون الى
حد كبير بصلاح السلف ، فطرياً كان صلاحه او كسبياً .

١ - ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب .

٢ - راجع بحث الوراثة في هذا الكتاب .

الفصل العاشر

وصلى الله عليه وسلم

ان سعادتنا لا تقتصر ، ويجب ان لا
تقتصر ، على المتعة الدنيوية المطلقة ،
بل على الرقي المضطرد والجدّة الدائمة في
المثل وسبل القبطة لننعم بالطمأنينة
والسكينة النفسية .

لينتز

في كتب السيرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يفتأ آناء ليله وأطراف نهاره يدعو لنفسه وللمؤمنين بالعبو والعافية والخير العميم في الدنيا والآخرة ويلح بالرجاء في طلب العقل العاقل والايمان الكامل ، وهو النبي المرسل وأعقل من عليها طراً .

وفي القرآن الكريم ان : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم ، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم^(١) » .

والعقل العاقل وصلاح البال وطمأنينة القلب تعابير عقيدية متشابهة تعني كلها ما اتفق الفلاسفة على تسميته بالسكينة النفسية وقطعوا بأنه الهبة الثمينة الرائعة التي يدخرها الله لأصفيائه ولا يمنحها إلا بقدر ، بينما أن

طبيات الحياة من ثراء وصحة وجمال وقوة وشهرة وذكاء
موزعة بين العباد بلا حساب .

وقد كان الحكماء أمثال «ماركوس اوريليوس»^(١) الروماني
و «لاو - تسي»^(٢) الصيني ومن قبلهما النبي «داود» عليه
السلام يتهلون الى ربهم أن : «خل يارب نعم الحياة
تحت أقدام الحق وارزقنا عقلاً غير مضطرب» . وذكر
الدكتور «ليمان»^(٣) انه وضع مرة وهو شاب جدولاً
بطبيات الحياة المعترف بها فكتب بياناً بالרגائب الدنيوية
ادرج فيه الصحة والحب والموهبة والقوة والثراء والشهرة ،
ثم تقدم به في زهو الى صديق له شيخ حكيم ، فقال له
الشيخ بعد أن اطالع عليه : « جدول بديع يا صديقي ، وهو

١ - «ماركوس اوريليوس» افضل الاباطرة اليونانيين وأوسعهم اطلاعاً بالادب
والفلسفة ، حكم بلاده من عام ١٦١ الى ١٨٠ للميلاد .

٢ - «لاو - تسي» ، فيلسوف صيني عاش في القرن السادس قبل المسيح
وصاحب كتاب : «السييل الامثل والفضيلة» .

٣ - هو الدكتور الاميركي «ي . لوث ايمان» اخصائي علم النفس وصاحب
كتاب «سكينة النفس» .

موضوع على ترتيب يمكن اعتباره معقولاً لولا أنك
أغفلت العنصر الاساسي الذي تصبح رغائب جدولك بدون
عبئاً ثقيلاً لا يطاق . « ثم ضرب بالقلم على الجدول كله
وكتب كلمتين : مسكينة النفس ! .

ويتضح من هذا الاسراف في الحرص على الفوز
بالسكينة النفسية أنها ولا شك ذات أثر بالغ في توفير
السعادة وانها بلا نزاع أعظم خير يرتجى في هذه الحياة ،
والذين أوتوها يملكون وحدهم مقدار فعاليتها وقوتها وشمولها
لكافة ما يتصل بالسكان الحي في نواحيه المادية والمعنوية
معاً فالكوخ يتحول بفعل سحرها إلى قصر منيف رحيب
والمرض يتخذ بفضلها شكل زيارة عابرة فيها للفكر راحة
الزامية ، وتنقلب المصائب والصدمات بواسطتها ظروفاً
طارئة موقنة فيها لأنفسنا نواحي نفع عديدة .

والسكينة النفسية ضرورة طبيعية وحال نادرة قد لا
يكون من اليسور الحصول عليها بالسعي السطحي والجهد

واصلح بالرحم

العابر ، ولكنها ليست بالمستعصية ولا بالمستحيل منالها
إذا أحسن الإنسان سبيل التماسها . ولعل أقرب مسالك
هذه السبيل وأيسرها ، أصعبها تصديقاً وأبعدها عن الخاطر
وهي توقير الذات واحترامها ومحبتها حباً عميقاً صادقاً .
وقد ذكر أن رجلاً من مشاهير العاملين في الخدمة الاجتماعية
تلقت رسالة من سيدة تريد أن تنضم إليه في كفاحه
لمساعدة الفقراء ، تكلمت فيها بأسباب عن نقائصها وختمت
رسالتها بقولها أنها ترجو أن تعوض حماستها لكفاحه ما بها
من نقائص ؛ فكتب إليها بهذا الرد الوجيز : « سيدي
العزيرة ، إن نقائصك البديعة هي حقاً في غاية العظمة .
وما من شيء يمنعك أن تصبي بها ضحايا وداعتك . وأنا
أنصح لك بأن تزيد من حبك لنفسك قبل أن تبغثي
حبك على الغير . »

وقد يذهب البعض إلى القول بأن المصاب بالعمى
الروحي هو الوحيد الذي يغالي بتوقير ذاته ، وإن من بلاء

دروب النيرفانا

المجتمع اسراف الناس في محبتهم لانفسهم بينما أن الغاية الحقيقية للحياة هي انكار الذات في خدمة الغير .

ولكنني لا أخل هذا التقدير للطبيعة الانسانية صحيحاً من كل الوجوه لأن احترام الذات برأيي هو الأصل في الاثرة والتضحية الخالية من شوائب الانانية والنفعية . ولعلّ القول المأثور أن ابدأ بنفسك ثم باخيك ، وما أمر به كونفوشيوس العظيم من ان نعامل الناس بما نتمنى أن يعاملونا به ، هي في اساس هذا الاحترام الذاتي والمحبة الشخصية .

وقد قال النبي العربي في حديثه الشريف ان : « اكرموا جوار نعم الله ، لا تنفروها ، فانها قلماً ذهبت عن قوم وعادت إليهم » . وقد أجمع الفقهاء على أن القصد من نعم الله هو الجسد واعضائه من عينيّن وأذنين ولسان وشفتين بالاضافة إلى غيرها من النعم المعروفة . فاذا كان الاكرام شكل من أشكال المحبة ، فان الذي لا تنطوي

واصلح بالزعم

نفسه على محبة اكيدة لذات شخصه ورعاية صحيحة
لكفائاته ومواهبه ، لا يمكن لها أن تشعر بأي
احترام اورعاية للغير ^(١) ، إلا إذا كان من زمرة المرضى
بالازدراء النفسي والذين يرهقون عقولهم واجسامهم بالاحساس
الدائم بالنقص والانتقاد المتصل لانفسهم والنيل منها في
كل مناسبة مقابل اصفاء كل الفضائل على جيرانهم ومعارفهم
وعزو التفوق إليهم والمبالغة في امتداح صفاتهم وكفائاتهم .
ولو أنهم كانوا أكثر تعمقاً بمظاهر غيرهم او كانوا أكثر
معرفة بانفسهم ، لترفقوا بأحكامهم عليها وأدركوا أن
الناس جميعاً ، رجالاً ونساءً ، انداد لهم وانهم يحملون
مثاهم في أعماقهم ندوبا عميقة من معارك كثيرة خسروها
وان النفوس على اختلاف صورها مجموعة من أوجه القوة
والضعف يجب أن نحترمها بكل نقائصها ومزاياها ليتسنى
لنا محبتها ومعرفتها وتشجيعها وتبديل مايجب تبديله فيها دون

١ - فاقد الشيء لا يعطيه .

دروب النيرفانا

ان نفص من قيمتها او نغالي بفضائلها .

ان أمثلة التحقير الذاتي متوفرة في المجتمع بشكل يدعو للأسف والآسى . فالادمان على المسكر والمخدرات حتى ضعيفها ^(١) والاقبال على الفسق والفجور واقتناص الم لذات الدينية ، والاقدام على التشويه الخلقي والجسدي بما فيه الاتجار ، كلها أفعال جرمية لا ضد أنفسنا فحسب بل ضد الجماعة أيضاً .

ومتى تمّ لانسان ما ادراك المعنى والغاية من هذا الاحترام وفرق بينه وبين تدليل الذات والاعراق في تمجيدها ، امسك بطرف السلسلة المتتابعة المؤدية إلى سيادة النفس ومنها إلى طمأنينتها وسكينتها ؛ اما اذا افسح للاعتقاد الخاطيء بنقصه المطلق مجالاً للسيطرة عليه ، اختل توازنه وتأرجحت إرادته وتحول إلى زئبق رجراج

١ - المخدرات شديدة التأثير هي الافيون والكوكائين والقنب الهندي المعروف بالحشيش ، وضعيفه التبغ والتبناك والمضغة والعطوس وغيرها مما يطلق عليه اسم المكيفات .

مهما كانت كفاؤه وموهبته .

أما المسالك الأخرى ، فانه يأتي في طليعتها وإيجاد صلة بيننا وبين الاعمال النبيلة من اجتماعية وفنية وادبية، وويليه عن كسب التعلّم على تقدير الاشياء المتفاوتة حق قدرها وترويض النفس على التضحية ببعضها مما نتوهم فيه الخير واللذة ونبذ جزء كبير منها ليكون استيلائنا على غيرها اقوى وأتم . وتكتمل الحلقة بتوفر الرحمة والامل الوئيد ويصبح عندئذ بوسع أي إنسان أن يفاخر بثروته الروحية ذات المعين الذي لا ينضب .

ويجب أن لا يغرب عن البال أن هذه الصفات المتفرقة عناصر غير متلازمة في احلال السكينة في النفس البشرية ، وانها تعمل كل واحدة بمفردها في صياغة قسطها من ذلك الكنز الرائع مما يحيل كل المحاولات المرتجلة في سبيل الحصول على جملة جهوداً عقيمة لا تورث الا النصب والقلق ، ويجعل الجري العنيف وراءها سباقاً خاسراً سلفاً .

ولا يتبدى جلال الحياة للإنسان الحي إلاّ عندما يكف
عن التقليل من شأن نفسه ويعترف لها بالقوة على مواجهة
مشاكل عالمه ولا يزن نفسه إلاّ بميزان الخير والثقافة ثم
يقنع بأنه إذا كان محدوداً في بعض النواحي ، فإن له
اقتداراً في نواح أخرى كثيرة وإن العبقرية هبة نادرة ،
وإن التوسط هو حظ الاكثرين منا وإن ميادين الجدة
والكسب والفائدة مترامية الاطراف على طول طريق
الحياة ، لا حد لها ولا نهاية .

فاذا تسلحنا بمثل هذه المعرفة والقناعة وأوتينا الحزم
والشجاعة والعزم على مواجهة واقعنا وتغيير ما يجب تغييره
في انفسنا بعد أن نكون قد قبلناها على حقيقتها وتعلمنا
اصول احترامها وفنّ محبتها على الوجه الصحيح ، فاننا نكون
قد عثرنا على السبيل المؤدية الى الطمأنينة وصلاح البال ولا
يعود يعيننا ان نحيا الحياة الطبيعية الهادئة التي نتمنى ونريد .

الفصل الحادي عشر

المقدمة اللاهوتية

انني اؤكد ان ما من بحث عقيم او علم
اجوف الا وتجدده في كتب الفلسفة الميتافيزيقية
المخصصة .

شيشرون

يقول العالم الايطالي « فيكو » ان كافة الأحداث العلمية والتاريخية خاضعة لقوانين الفكر البشري ، وأن كل الحوادث والمستحدثات هي المظهر الحسي لفكرة استولدتها عقولنا واقتضتها ضرورة عادلة ولو لم تكن شاملة . وقد يزعم العقل بتفكيره في كل ذلك ، بالاضافة الى ما يشاهده من وحدة واتساق في نظام التقدم الانساني المضطرب ، أنه قادر على تفسير بعض الوقائع التي لا تزال مستعصية على العلم والمنطق ؛ ولكن زعمه وجهده ، ان هو لم يكف عن التوهم بانه المحور والدائرة ، ان يعدوا ان يكونا مجرد محاولات فلسفية لربط الواسطة بالغاية ، او للتقريب بين الفعل والنتيجة .

ومثل هذه الفلسفة التي لا تتعرض للأخلاق والمعتقدات الاساسية والآراء السياسية وتقتصر على الميادين الميتافيزية

وحدها في حل بعض المعضلات الفكرية والعقلية ، فلسفة
بريئة لا خوف منها ولا خطر على أصحابها لأنَّ يحمل ما
تجري به أقلامهم عبارة عن ألفاظ مبهمه تصوغها أفكار
غامضة لا يفهم أكثر الناس منها شيئاً لسبب وجيه أصلي
هو أنه ليس فيها ما يفهم .

أما الفلسفة الثورية ، وهي تسمية مجازية محضة ، إذ
أنَّ أصحابها قوم مسالمون بالسليقة وآراءهم وأقوالهم ليّنة
مشرقة ، فانها لا تنطبق إلّا على النتائج الانقلابية التي
قد تترتب عليها من جراء تبني المجتمع لها ، او على رد
الفعل السايي الذي قد يصيب المنادي والمدين بها ^(١) ،
لأنَّ تعليم الحكمة وبث الفضيلة وإنشاء العقيدة الصحيحة
وتفصيل الحكم الصالح ، مثاليات لم يتقبلها عصر من
العصور إلا بعد مقاومة شديدة تجلّت في الأحكام الجائرة
التي اودت بحياة كثير من المصالحين وشردت الباقين

١ - لقد حكم على سقراط بالموت قتلاً بالسّم يجرعه بنفسه .

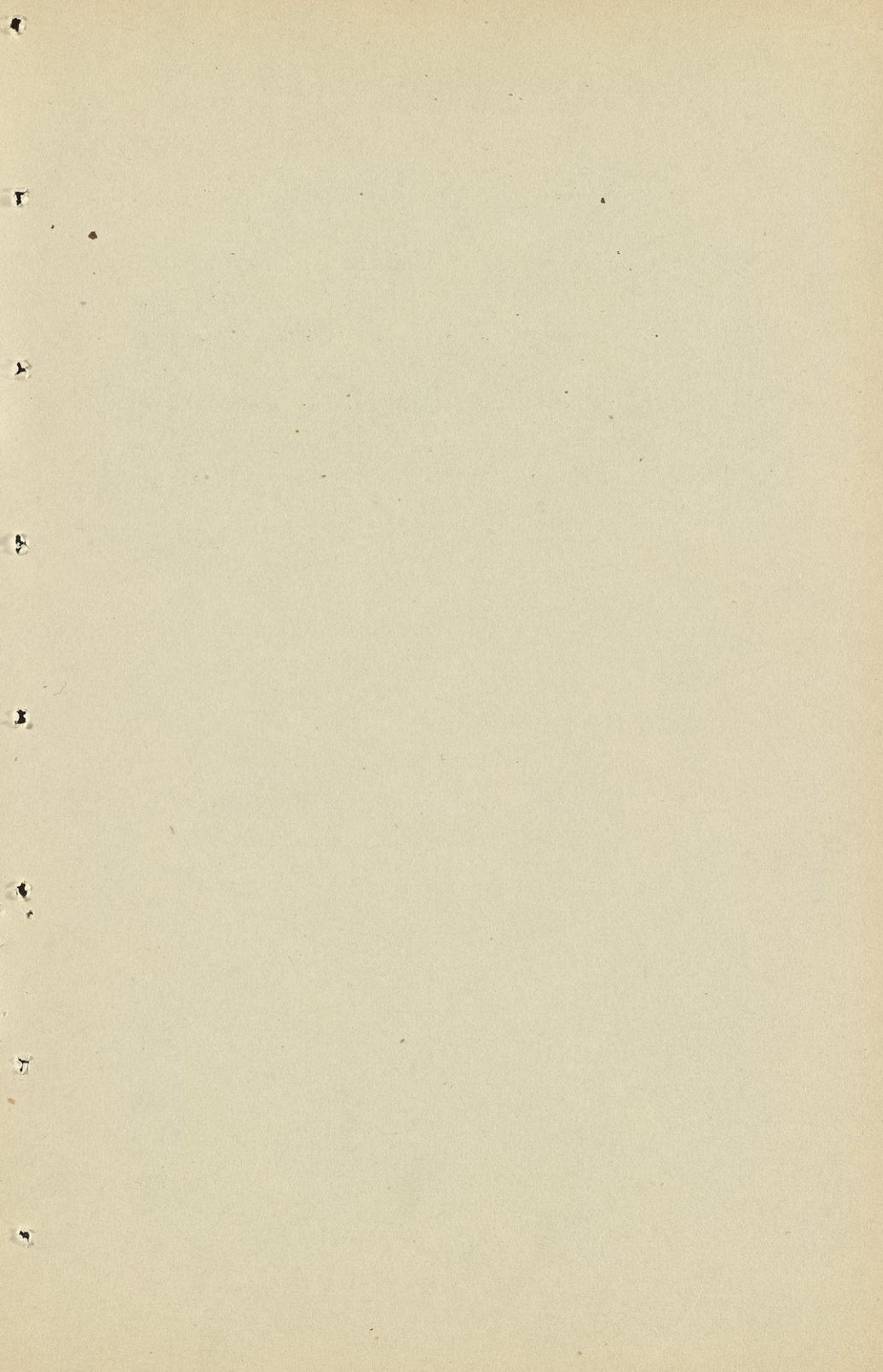
تحت كل سماء ^(١) .

واذا كان الجهل والانانية والغيرة الحمقاء هي في اصل هذه المقاومة العنيدة والأحكام العاتية ، وهو مما لا يشك به أحد ، فانه خليق بنا ان نسعى ما استطعنا لاستجلاء حقيقة ذاتنا ليتسنى لنا ادراك سر تصرفاتنا ومن ثم معالجة نواحي الضعف والنقص في نفوسنا .

وقد اشتقت في هذا الحيز الصغير لتحقيق ذلك القصد الصريح ، حقائق جديدة باثارة اهتمام المفكرين الذين يروق لهم ان يجمعوا التأمل والتفكير الى العلم والايمان ، وجمعت وقائع من اهم العلوم والبحوث الموقوفة على قلّة اخصائية، وعرضت باختصار وبساطة ، بقدر ما استطعت ، مسائل فنيّة معقدة ، واستعنت بامثلة صحيحة في ايراد آراء شخصية ، لامتري انتباه هذه الفئة الى ما أصبح من الممكن اثباته بعد أن طال تمرده ، ونقر معاً أن الهوة السحيقة المزعومة بين

١ - امثال كوفنشيوس وافلاطون .

المتافيزية والواقع المادي هي أقل تمنعاً على الإدراك مما
كنّا نتوهمه . وإذا ما افترضنا الخطأ في البعض من الآراء
والاستنتاجات ، أو قلنا بأنها عرضة للتعديل أو التبديل ،
فإن انسجامها مع مجموعة المعارف الحاضرة يشفع لنا ويؤكد
بؤكد أن عناصرها الأساسية لن يطرأ عليها تبديل
يذكر .



أبحاث الكتاب

المقدمة		١
الفصل الاول	 نحن وعقولنا	٥
الفصل الثاني	 تاريخ الظلام	٢٤
الفصل الثالث	 القصة العجيبة	٤٠
الفصل الرابع	 شخصياتنا	٤٩
الفصل الخامس	 العقل الباطن	٦٣
الفصل السادس	 العبقرية الخلفية	٧٥
الفصل السابع	 حكم وأحكام	١٠٥
الفصل الثامن	 استطرادات	١٢٥
الفصل التاسع	 في القصص حياة	١٣٧
الفصل العاشر	 واصليح بالرحم	١٤٥
الفصل الحادي عشر	 المقدمة المزعقة	١٥٥

فهرس الطبع للمؤلف

البرج المكسور اءب وفلسفة

امخیر أنت أم مسیر اءاء عقیرة

فلسفة المقاد آراء ونظریات

تمت الطبعة الاولى من كتاب « دروب النيرفانا »
في دمشق بتاريخ العاشر من شهر تشرين الاول
من عام الف وتسعمائة وتسع وخمسين .

88

M. G. E. MOLLA

L. E. P.

LES SENTIERS
DU
NIRVANA

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072571530